يوسف الصائغ

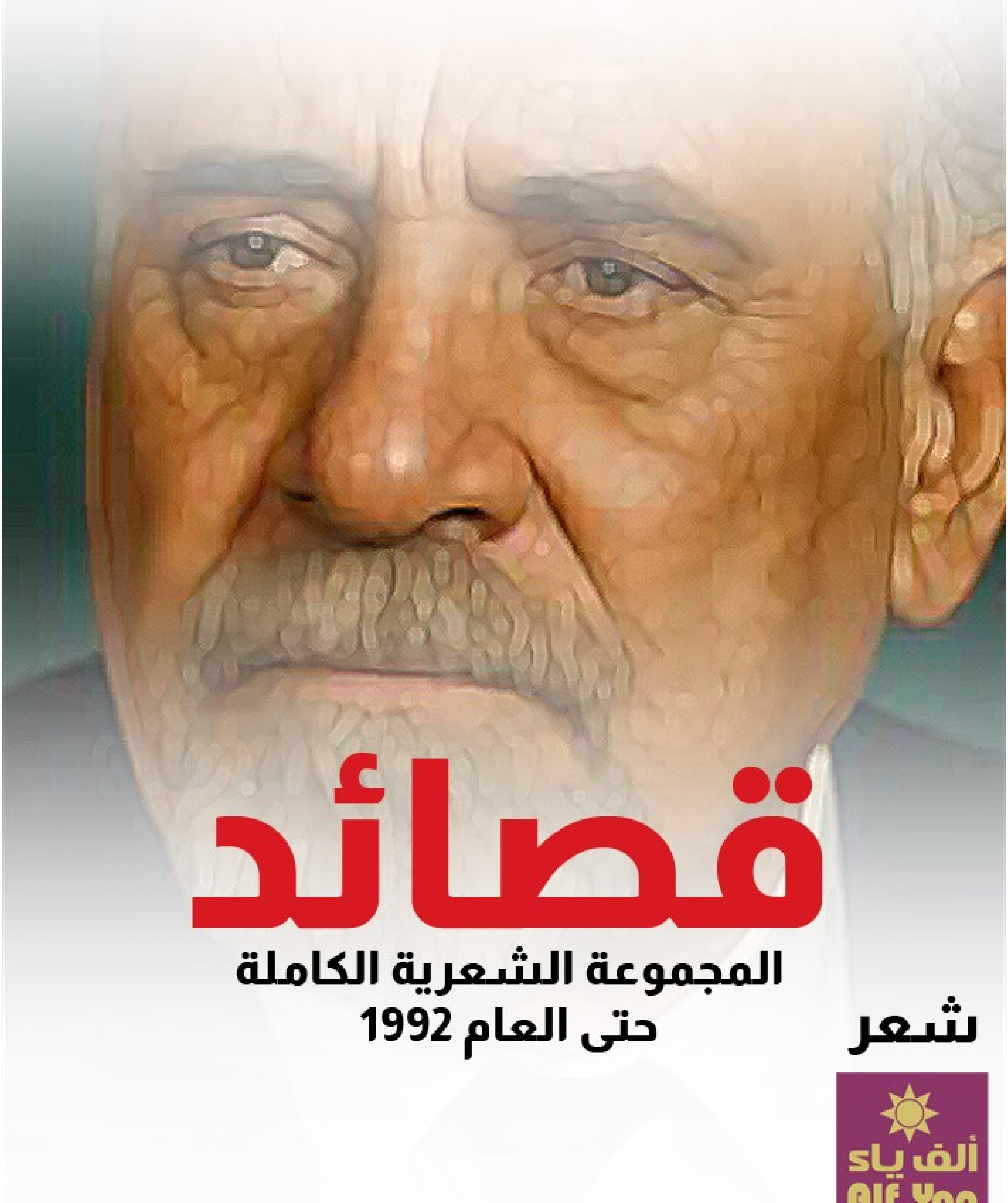

قصائد

المجموعة الشعرية الكاملة
حتى العام 1992

شعر

ألف ياء
Alf Yaa

قصائد

المجموعة الشعرية - 1992

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

المؤلف: يوسف الصائغ

الكتاب: قصائد - (شعر) - المجموعة الشعرية - 1992

جمع ومراجعة: الدكتور أثير محمد شهاب

- صدرت النسخة الرقمية: 12 كانون الأول / ديسمبر 2025

- صدر الطبعة الأولى كـ"المجموعة الشعرية الكاملة"

عن دار الشؤون الثقافية العامة، 1992.

- **الناشر: «ألف ياء AlfYaa»**
- **الموقع الإلكتروني:** www.alfyaa.net
- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات (PDF، ePub وMobi و/أو أي تنسيق رقمي آخر محفوظة
- لـ**«ألف ياءAlfYaa»**
- جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمؤلف
- يعبِّر محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه.
- **«ألف ياء AlfYaa»** ناشرة للكتاب فقط وهي
- غير مسؤولة عن محتوى الكتاب

- **تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداوود**

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

يوسف الصائع

قصـــائد

المجموعة الشعرية الكاملة
حتى العام 1992

شعر

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الإهداء

إلى "مريم" [1]..

يا مريمُ..
أحلمُ، أن أحيا،
حتى يغدو عمرك عشرينُ..
وأراكِ مُزيّنةً، بالحكمة والحبّ،
وأعرف، كيف تُحبّينَ،
ومن ستُحبّينْ...
يا مريمُ.. يا نورَ عُيوني..
أحلمُ،
أنكِ سوف تُحبّينَ،
فتىً يُشبهني..
أحلمُ.. أنكِ،
سوف تحبّيني....

يوسف الصائغ

(1) مريم: ابنة الشاعر.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

فهرس

اعترافات مالك بن الريب...12
رياح بني مازن...26
انتظريني عند تخوم البحر...39
سفر الرؤيا...56
خواطر بطل عادي جدا...68
ما بين جلدي وقلبي...83
سيدة التفاحات الأربع..97
اغتصاب...100
قرنفلة سوداء..101
حلم 104
الجثة.. والسيدة.. والحقيبة اليدوية.....................105
زيارة..108
قصة 109
بغتة 111
الجثة 113
قبلة...114
فاكهة المرأة النائمة..115
الرجل ذو الرباط الأسود..117
عالـــم الغيـــاب 118
موت المنزل 120
نعاس...122

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

القبلة الأخيرة 124
زيارة ... (2) 125
لماذا ؟..127
خلاني نائمة 128
مريم 130
حبة قمح ... .132
التباسات غرامية 135
تعب في النوافذ 137
قصيدة تسجيلية 142
مقدمة أولى 153
زمان المحبين 154
مقدمة ثانية...155
الحب الغالب..156
سلام الفراتين...157
سيدة الأهوار 162
المعلم 170
أين الشعر.. وأين الشعراء؟ 180
استيقظ .. يا يوسف..186
إجازة...191
حلول...192
بين إطلاقة . . وإطلاقة...194
الشميم..196
زهرة...198
مساء عراقي...199
أيها المغترب.. 201
من قصائد البلبل الأسود 1976- 1980 202
السؤال الأخير.. 203
لقاء...204

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

عطب.. 205
استرخاء.. 206
بلل.. 207
الأصابع......... 208
ربما.. 209
حوار.. عبر الهاتف......... 210
أمسية السبت......... 211
فجأة... 212
غداة غد.. 213
اش ش ش... 214
العيون......... 215
نافذة 216
في سيارة إسعاف......... 217
صمت.. 218
الغراب.. 219
الساعة... 220
موت الكرسي......... 221
باختصار 222
الخيط... 223
مشاركة 224
السلحفاة......... 225
العزف 226
العشاء......... 228
اعتياد 229
يساراً حتى جبل الزيتون......... 230
الشبيهة......... 239
حالات......... 240
القرابين 244

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أنا.. لا أباع!! 248
الساعة التي تدق دقات كثيرة 257
الخوف.. 261
شمة أفيون 264
شمس المطر 280
زمن الشعر 284
الباب 285
السؤال 286
تمردا! 287
عجز 289
غزال... 291
لماذا 292
أما كان يمكن 293
(جزدان) خديجة... 302
حتى اسمي.. 304
الطريق : 305
السلطان : 306

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

اعترافات مالك بن الريب

ترجّلْ
فإنّ القطا نائمٌ
والقوافلُ متعبةٌ
هوّمَ النازحونَ لطول السرى
سوى فارسٍ، ما ينامُ.
وحيداً..
يمنّيه هذا الدجى بسهيلٍ
ترابُ..
(سهيلُ) إنطفا..
واستراحتْ على حلمٍ صهوةٌ،
وخيامٌ،
وساوسها الرملُ بينَ جفونكَ،
تعمى عليكَ عيونُ اليتامى..
تُشيحُ العواصمُ حين تمرُّ،
وأُتْرَكُ وحدي..
(فيا صاحبَيْ رحلي
دنا الموتُ.. فانزلا..)
في جَبَلِ الزيتونِ،
حيثُ يوقظُ الموتى ضياءُ البدرْ..
تكون بندقيّتي،

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

مثلي أمام العصر،
فارغةً..
إلاّ من الرصاصة الأخيرةْ...
سأكون بها ملكاً،
وأشمّ الموتَ شميمَ امرأةٍ حبلى بالولدِ البكرِ،
يكون العنبُ المغسولُ وحامي،
وتكونينِ الليلةَ آخرَ دقّات الساعةِ في زمني المحرومْ...
إنّي.. للفرسانِ نبذتُ زبيباً،
وعصرتُ،
فخضّبني الدنُّ إلى ترقوتي..
أرأيتِ إلى سنواتِ العشقِ،
وَنَدَّمَكِ النسيانُ؟
خذيني الآنَ إذنْ،
مغترباً،
غربةَ يوسفَ في الجُبِّ،
وفي السجنِ،
وإذ تدعوه امرأةٌ في قصرِ الحاكمِ،
لكنْ...
يا يوسفُ أعْرِضْ عن هذا...
ها أنَذا أعرضُ..
صارَ السيفُ رغيفي...
والمقتلُ بينَ الكرمِ ومعصرتي،
بين الظلِّ وبينَ الشمسِ...
أتيتُ أقبّلُ أقدامكِ سيّدتي...
سأقبّل آثارَ الخمرِ على رسغيكِ
فماذا تشترطينَ؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

دمي؟....
أحبّانا من المنذورُ؟
فليحملْ شموعاً من مدينته.
وملءَ العينِ زيتاً من خوابي العرسْ
وسيفين بلا غمدٍ،
وشالاً لعروسِ القدسْ..

....
مباركةٌ في النساءِ الصبيّةُ،
راحتْ تؤدّي العشا لأبيها،
وجازتْ حدودَ الخيامِ،
ولاح الغضا...
ومشتْ رعدةٌ في الرمال قُبيلَ المسا...
سمعْنا غناءَ الصبيّةِ:
"هبّتْ هبوبَ شمالٍ ما تدفّيني...
نارٌ بأكفانِ قتلانا شعلْناها..
إنّي رأيتُ حدودَ القدس تُدنيني
فلتنظرا إنْ نكن رجماً بلغْناها...."
بلى..
بلغ الركبُ رابيةً،
فانزلا عند خوفي.
أقيما على "مالكٍ" ليلةً..
فإنّي رأيتُ غراباً على منْكبيْ فرسي،
رأيتُ دماً..
فعلامَ اضطربتُ وفَزَّ القطا في دمائي؟
أبعْدَ الذي كانَ،
يوحشُ كالذئبِ وجهي؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأفردُ مغترباً بين أهلي؟
سلاماً إذنْ أيّها الفارسُ العربيُّ،
لقد أنْبتوا حسَكاً في قرابةِ روحكَ،
واحتفروا موضعاً للشكوكِ،
فبينَ جناحيْ غرابٍ،
حدودك يا بلدي
وحدودُ الخيامِ..
هنا يبتدي جسدي
أيّها النازحونَ.. حدودكمُ اقْتسمتْني..
تعالوا انظروا:
أيّ جنبٍ يعنّ على مالكٍ حينَ تدنو المنيّةْ؟
تعنّ المنازلُ..
عنّتْ كرومُ أبيكمْ..
ثمارُ بساتينكم أطْعمتْني الندامةْ..
رأيتُ التي لا أقول اسمها في (السمينةِ) تبكي..
سمعتُ ابنتي تتنبَأْ:
"خذْ خيمةً يا أبي،
فبلادُ المهاجر ملعونةٌ،
والطريقُ إلى القدس، جدُّ طويلْ..."
(لقد كان في وادي الغضا لو دنا الغضا... مزارٌ ولكنّ الغضا..)
أحسُّ أنني،
والقدس،
في كنيسةٍ مهجورةٍ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فلا حبٌّ... ولا عبادهْ...
كأنما العذراء، لم تلدْ بها المسيحَ ذاتَ ليلةٍ.
أو أنها،
من بعدما استوى نبيّاً.,
أنكرتْ ميلادَهْ..
(فليتَ الغضا والأثْلَ لم ينْبتا معاً
فإنّ الغضا والأثْلَ قد قتلانيا)
ثمّ اغتسلتْ..
غسلوا الياقوتَ على جبلٍ،
والتمع الموتُ سواراً.
يا سيّدتي..
ماذا تشترطينَ على العشّاقْ؟
إن تعدي،
يُنْبتْ جسدي أثْلاً
وغضاً..
تنبضْ في رَحِمِ الأرضِ خبايانا:
خبأنا الحجلَ تحتَ الرملِ،
قلنا يورقُ الزيتونْ..
تعالوا أيّها الأحباب
عندي قمرٌ مدفونْ...
يرافقني في المنافي..
يباركُ لي قلقي واعترافي،
رهنتُ له فرسي وعقالي،
وساومتُ بينَ الهدى والضلالِ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وقالوا: ترجّلْ
ترجّلتُ...
كان القطا نائماً،
والندى فوق سيفي.
مسحتُ الندى بثيابي،
عبرتُ إلى جسدي..
ورأيتُ منازلكم
أيّما وحشةٍ يا ترابَ بلادي أقاتلُ؟
إن يديَّ تحاربني
قتلوني ثلاثاً...
ولكنني لم أمتْ
إنّ "مالكَ" يشترط الكبرياءَ
اشترطتُ أموتُ بلا ندمٍ..
كنتُ أعلمُ
أنّ المنيّة ليستْ مزارَ المهاجرِ
أو منزلاً للغريبِ..
فلا تبتغوني لكم بطلاً..
إنّني رجلٌ.
حرّضْته الرمالُ على نفسهِ.
فهو يسألكمْ..
من يطيق الإجابةَ في مدنِ الاحتلالْ؟
يجيبُ القطا...
والحجولُ التي صدئتْ في دمي تشرئبُّ..
أنا.. يا بني مالكٍ؛
مُسْلَمٌ للعراءِ؛

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أدافعُ عن جسدي لدغةً،
إنْ تُمتْني..
يُمُتْ بالمجّانِ فوارسُكمْ
ويذلّ الغضا..
(أقول لأصْحابي ارفعوني.. فإنّني..)
أكون في مخيّمِ الحسين حينذاك،
طفلاً بينكمْ...
يُذبح مرّتينْ
وعندما يُطلب منه أن يموتَ مرّةً أخرى.
يرفعُ إصبعهُ...
....
....
فلئن كنتِ تطيقينَ الموتَ معي،
فاحتلبي للموتِ نياقَ أبيكِ،
وشدّي الردْنين، على الزنْدينِ...
فها أنذا آتٍ...
لم أطوِ جناحاً عنكِ.
ومُرٌ ثمري.. وصليبي..
كالكرمةِ تتّكئين على كتفي..
وتكونين قرابَ السْيفِ على حقّويَّ..
أشمُّ امرأةً فيكِ تراودني..
وحبيباً..
هو الأسمرُ مثل القمحِ
والمرهفُ كالسيفِ..
يمرُّ ببابنا حَذِراً

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فلا يُبدي.. ولا يخفي..

......

......

تعبتُ
وجرّبني في انتمائي القطا
وجعي مبهمٌ..
مثل حبل الجنينِ.
أنا مرهقٌ.

بين رفضي لكم...

وحنيني.. إليكم..

لهذا أموتُ..
يبيع القطا من قوادمهِ..
تحتويني الرمالُ النظيفةُ تحتَ سماءِ الصحارى..
تمدّدْتُ في الوطن العربيِّ..
أهالَ على جسدي خيمةً
ورأيتُ بلادي تتخثّرُ فوقَ جراحِ الضحايا..
أنا الخيمةُ الألفْ..
يوحشُ وجهي أمام المرائينَ
أصدقُ.
أكذبُ.
أصدقُ.
أكذبُ.
مثل وجيبِ الهزيمةِ،
بين الهدى والضلالِ،
الْتبسْتُ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تشابهَ في مقتلي بينكم،
أنني ابْتعثُ
أو بِعْثُ...
يا صاحبَيْ فرسي..
إنْ يأسَ الفوارسِ جدُّ مريبٍ
ويأساً كيأسي،
يطيق النبوءةَ والقتلَ والكذبَ...
فَلْتحْذراني...
خُذاني إلى حاكمٍ
وليكنْ منكما شاهدانِ على "مالكٍ"
إنّ "مالكَ" يشترط الكبرياء
اشترطتُ بلا ندمٍ أنطفي..
فأكني إذا عدتُ، أسلكُ نفسَ الطريقْ
(فليت الغضا لم يقطعِ الركبُ عرضهُ..)
لقد نزفتُ كلَّ ما في الروح من مياهْ
وكنتُ أشتهي جدارةَ النهرِ على مجراهْ
لكنما
ظلّ السؤالُ الصعبْ
إن كان هذا السيلُ لا يحفرني في الدربْ
من يقتضيني العودَ للمنبعِ،
والرجوعَ للمصبْ؟
....
شفةً أخرى غيرَ الموتِ
تقاضيتُ حبيبي...

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

والنسغُ تشهّاني...
كنتُ ذبولَ الخارجَ من صبوتهِ الأولى،
تتشاقى فيَّ النزواتُ..
وما منْ سيفٍ
هذا زمنُ العنبِ الأسودِ
والغدّاراتِ السودْ..
فاجتمعوا..
مَلّحْنا الزادَ لكمْ...
وسكبْنا الماءَ على أعتابِ البابِ،
غداةَ خرجتمْ..
زمنُ الفرسانِ سُروجُهمو الذهبُ...
وعيونُ الفارسِ،
خمرُ القدسِ،
ونزهتهُ التعبُ...
تأتيهِ النخوةُ بينَ نواجذهِ،
فيُجنُّ.
حبيبَ القلبِ.. تعالَ، ولا تأتِ
زيّنّا من أجلكَ أبوابَ البيتِ
لكنّا لم نتركْ خلفَ نوافذِهِ
غير الوحشةِ والموت...
....
....
أجيءُ...
تزوَدتُ كاللصّ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سيفاً،
وخبزاً،
وجرعةَ ماءٍ...
تدبّرتُ ذاكرةً للمسافرِ،
بين الغضا والخيامِ...
تكونُ الرمالُ قناعي،
وتذهلُ عني عيونُ المرابين،
عادوا،
جلاجلُهم شبهةٌ في نعاسِ الشهودِ...
وإذّاكَ يغدو الغضا بين روحي
وبين خنادقهمْ
مُهرةً،
ويسيلُ الصهيلُ
على راحتي زَبَداً.....
تشربون؟
أبيعُ الصهيلَ..
أفاوضُ في الثكناتْ..
أشمُّ بنادقكم...
وأمدُّ لكم من لجامي طريقاً:
(خُذاني فجرّاني ببُرْدي إليكما
فقد كنتُ قبل اليوم صعْباً قياديا
وقد كنتُ عطّافاً إذا الخيلُ أدبرتْ
وقد كنتُ....)
في دمي ظمأ للماءِ...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أيّها الرجالُ في مخيّمِ الوحداتِ والحسينْ...
أريد أن أسكن في خيامكم
وأن أكون مؤمناً يُلدغُ مرّتينْ....

......
الموتُ
وسادةُ حبّي...
أشتاقُ..
ولكني مازلتُ أكابرُ،
زيّفني زمنُ الهجرةِ،
والعنبِ الأسودْ.
سأعلّقُ عندَ البابِ الندمَ القرويَّ
وأُسْفرُ
أُسْفرُ
أُسْـ.....
...ـفرُ... مسّا المسا..
كم قتيلٍ له ندمي يا صاحبي!
كم قتيلٍ له صدقُ قلبي إذا أقبل الموتُ.
فلتسألوا رجلاً:
حرّضتْه البراءةُ..
أن يتمرّدَ في ساعةَ الدفنِ
يا زعماءَ القبائل..
لا تقتلوا الشهداءْ..
......
أموتُ إذنْ؟

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

والقطا كحلهُ نَدَمي؟
والغضا بردتْ راحتاهُ على راحتيّا..
وأنتم..
تجيئون باسم الحضارةِ،
تقترحون على (مالكٍ)
أن يكونَ شهيداً...
وتعمى عليكَ عيونُ اليتامى...
تدقُّ على جسدي ساعةٌ في الميادين،
أسمعُ صوتَ مذيعٍ يسير وراءَ الجنازةِ،
تأخذني سورةٌ من رثاءٍ لنفسي فأبكي...
(تذكّرْتُ من يبكي عليّ.. فلم أجدْ سوى السيفِ..)
كان الغضا صوبَ رأسي غداةَ خرجتم.
وكنتم شمالَ يدي لغةً لليتامى:
(يقولون لا تبعدْ... وهم يدفنوني)
خجلتُ لكم يا قساةَ القلوبِ...
خجلتُ لطيبة قلبي
لأن الغضا لم يماشِ الركابَ إلى ساعةِ الموتِ...
كان الغضا حلماً وأفقتُ،
رأيتُ احتضاري على أُذُنَيْ ناقتي،
وسمعتُ حداءَ قوافلكم يزدريني
(فلا تحسداني بارك الله فيكما)
خُذاني إلى الكاتبِ العدلِ..
ولتشهدا
أنّ مالكَ..
يعترفُ الآنَ بينَ يدَيْ عصرهِ:

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

اعترفوا
اعترفوا
اعترفوا
أيّها الحاملونَ عذاباتكم..
إنّني وطنُ المتعبين الذينَ،
يُحسّون وحشةَ هذا الزمان!

1971

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

رياح بني مازن

رياح بني مازنٍ أيْقظتْني..
على مَوهنٍ، فزّ روحي لها: (ها أنا....)
واختنقتُ، وأخجلني سورُ سجني..
وأوجعني موضعُ القلبِ منّي.
وموجعةٌ لهفتي لا عشيرَ لها غيرُ ريحٍ، يعذّبني،
تعصفُ الريحُ.. تعوي.
هي اللبوةُ الأمُّ تعوي، فوا خجلتاهُ لصمتي..
رأيت المواكبَ تزحف دوني.
صرختُ، فلم يسمع الركبُ صوتي..
يتيماً نذرتُ، خذوني، يهلّل لكم ثأرُ ذيبِ
وخلّوا على دكّةِ القدسِ قلبي،
وشدّوا،
فقد يكملُ النذرَ موتي..
تعرّق للروع قلبي، كما الأمُّ عند المخاضِ،
وقد سجَرَ الحيُّ للخبز قبلَ الرحيلِ،
قلتُ العوافي بني العمّ ما تخبزونَ
وصبّوا على النارِ زيتي..
خذوني، فروحي يئنُّ من الماءِ،
والشوقِ، والسجنِ، عنّتْ جروحي،
وصَلّتْ ظامكمو في عظامي،
وشتّان.. فالريحُ منزلها القدسُ،
والسجن بيتي..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وموجعةٌ لهفتي، يسكنُ القدسُ فيها
وعيدٌ أكابدهُ، ليس يأتي...
وقد كنتُ لوّحني الصيفُ، عامينِ،
طفلاً، على حضنِ أمّي، فخلْتُ.
-عن العين- فيروزةً في جبيني..
وباركني كاهنٌ الحيّ، بالماءِ والريحِ،
واكتملَ النذرُ: شعرَ صبيّ،
فمثقالُهُ، ذهبٌ للمسيحِ،
ومثقالُهُ لهفةٌ للصبايا،
ومثقاله هزّةٌ تعتريني..
غسلنَ ملامحهنَّ، بخمر الكنيسةِ،
غيدٌ.. عذارى، وبالزيتِ،
نقّعنَ كحلَ العيونِ...
وكان لنا بنتُ عمٍّ، نُمنِّعُها، كالجنى البكرِ،
كالكرمِ، قبلَ القطافِ...
يدلّلها الناسُ، بالنظرِ الهمسِ،
والأمنيات الصغارِ الخوافي..
وتدعو لها نسوةُ الحيّ، زوجاً،
فتُغْضي.. على أكحلِ الطرفِ صافي
وتُغْضي،
على الماء في نذْرها:
أربعاء- يقول الحبيبُ- تصومين لي،
وفي جمعةِ الموتِ لا تفرحينَ،
حبيبة قلبي،
ففيها، على ملأ من ضحىً كانَ صلبي...
وألبسني جُنْدُهم أرجواناً،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وخلاًّ سُقيتْ، ومُرّاً مزجتُ
ومن ماءِ قلبي اغتسلتُ
وصلّيتُ للقدس خمساً، ومتُّ،
فيا طولكرمَ اذكريني..
فقد كنتُ لُوَحتُ بالحربِ، واكتمل النذرُ
شعرَ فتىً ثائرٍ، بعضُه من رماد الجراح
ومثقالُه، ذهبٌ، للسلاحِ،
ومثقالُه، نشوةٌ، تعتريني
فإن تقبلوا النذرَ، أُنْضجْ لكم كرْمَ عمّي.
وداراً أُمهّدْ لكم من حنيني..
وبالطيبِ ندهنُ أقدامَ أحبابنا،
ومن زادنا تأكلونَ ومن مُجتنانا..
تعالوا إلينا، فرشْنا لكم، تعباً مُتّكانا..
ذبحْنا غزالاً لكم، وبكينا له، وأكلْنا،
ومن زادنا تأكلون، سنوقظ عين الغزالِ...
وللريح مالت، رؤوسُ الأيائل، مذبوحةٌ فوق سور
مصفَنةً كالضمير، معلَقة في صدور الرجالِ..
وفي القدس نامت حقولُ أبي،
واعتراها المساءُ، فأشجارها مُرّةً البرتقالِ..
ومرَّ حنيني لكم، قهوةُ النادباتِ،
وموجعةٌ فيكمو لهفتي، وذليلَ على الرملِ صمتي..
سلاماً.. أنا الجرحُ، والقمرُ الريحُ،
من بعدِ موتي..
على يفَعٍ سيّدٍ، مُعشبٍ، وسَدنا أبي،
ونفضْنا الترابَ، وعدْنا إلى الماء نبكي
بكينا، بكينا...

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

سمعتُ العوانسَ ينذُبْنَ في منزلي.
يَنُحْنَ عليّ ويبكينَ لي، ويسألْنني أن أموت لهُنَّ:
"حبيبي.. دعونا لمأتمكَ النادباتِ.
ومن أجلكَ ارتدتِ الباكراتُ الحدادَ،
فَمُتْ يا حبيبُ لنا.."
-لم يحنْ بعدُ موتي..
ألا... واسمعوني، وحيداً على الماء صوتي..
سأورق، لو يُمنع الماءُ عني، لفرط الظما،
يا عشيري: وأنضجُ قبلَ المواسمِ في غضبتي،
وفي قلقي أستشفُّ الذي سوف يأتي..
سيأتي، تقول النبوءةٌ، في ساعةٍ،
سيأتي، تقول النبوءةُ، في ساعةٍ،
سيأتي ضحىً، تقتلونَ به.. تصلبونَ،
وكنتُ، رأيتُ الضحى وادّكرتُ..
وكالذئبِ، ذقتُ دمي فاختنقتُ..
وما زلتُ أذكر ذاك الضحى..
وأذكر كيف ابتدا..
وأذكر كيف انتهى..
وأذكر لما سجا الموتُ فوقَ القلاعِ،
وجُنْدل حُرّاسُها، واستحالَ الضياءُ دماً،
واستبيحت صلابٌ حصون، ودكّتْ،
ودان عزيزُ اللوا..
رأيتُ أميري، يمرُّ على مُهْرهِ في الطريقِ
هتفتُ: التفتْ يا أميرُ.. ارعوِ يا حبيبُ،
فهذا الصراخُ إذا مسّ حتى الأصمَّ ارعوى..
رمادٌ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فمن أيّما طينةٍ جُبلتُ غبيّاً.. ومن أيّ ما؟

أفي كلِّ يومٍ لنا في العشير أمير يقول:
أنا ابن جلاً؟
حزينٌ له.. للأمير المدلّلْ.
فمنْ كان مثل حبيبي.. سيقتلُ أصحابه،
ثمّ يقتلْ..
وها مئزري. ولتغطّوا به وجهَ قتلاكمو،
واحزنوا.. واسمعوا الريح صوتي..
أنفّضْ لها من ثيابي شميماً تراباً..
فقد كنتُ يبّسني الصبرُ، واسوَدّ جرحي،
وشُلّ زنادي،
وجَفّ على مقبضِ السيفِ مني دمُ..
ونمتُ، وأيقظني المنشمُ..
فنَصّبتُ للريح أذْني
ودافعتُ فيكم قيودي وسجني.
وحاصرني في العريش الجنودُ
فثَبَتُّ في الأرض جذري.. تشبَثْتُ.
ما زحزحوني،
وكادوا.. وكادت تذلُّ عيوني.
تشبّثتُ. حتى تعرّقَ في ساعديَّ الحديدُ...
تناوحت الهمّ سيناء حولي،
وسَفّتْ هجيراً، وشعّثني الرملُ،
واغبرّ قلبي، وغصّتْ غلاصمُ غدّارتي
وكدتُ..
وصبَّرني أفقٌ مشرقٌ.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ولاح كأنّ "بني مازن" يقبلون،
هتفتُ أثبتي يا رياحُ، لقد أوشكَ البارقُ..
خَفتُ لهم حاسرَ الروحِ، صلتا،
وحفيت شوقني. وعوّقني في ارتكاضي ترابُ..
وعثّرني وَهنُ عظمي. سقطتُ،
وحشو عيوني سرابُ.
فأوّاه لو كنت من مازنِ
وما كان عظمُكَ بالواهنِ
وما كنتُ فظّاً غليظ الحلوم على الأقربين،
خفيفاً على الغادر الخائنِ..

....

هي الريح صوتي،
هو الماء حزني.
وكالطير أسلمتُ للماءِ جنحي.
وأرخيتُ جرحي على ذلّ صمتي..
سأورقُ لو يُمنعُ الماءُ عني، كما تورقُ الداليات.
بُعَيْدَ الظما. فامنعوا الماءَ عني..
ولا تنكروا قلقي، فلقد كنت فيكم هناك،
وكان معي سورُ سجني..
ذبحتم غزالاً. بكينا له. وأكلتم. وصمْنا.
وعزّت علينا عيونُ الغزال.
وعزّت علينا رؤوسُ الأيائل في قفر (غزّهْ)
معلّقةً في صدورِ الرجالِ..
ونامت مقابرُنا، واعتراها المساءُ
فأشجارُها مُرَةُ البرتقالِ..
وأشجارُها شبحُ الميّتين الذين تركنا،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

نواويس شاخصة في الليالي..
وكنتم تقولون غزّة للقدس..
وكنتم تقولون غزّة عرس..
ألا تخجلون؟

ترابٌ لكم**!!**

واسمعوا الريحَ تعوي..
تهبّ على الضفتينْ.
على القدس مجزوزة السالفينْ
عليكم عشيري. أجلْ واسمعوني:
فعمرٌ تقضّى، وما زالَ فوقَ الترابِ الدمُ...
ولمّا تزلْ أرضكمْ تُستباحُ على ملأٍ منكمو..
ويا ويحَ قلبٍ، يساومُ من ذلّهِ الصبرَ،
قلتم: نسيرُ لهم في الشتاءِ،
انتظرْنا،
ومرّ الشتاءُ، فقلتم: هو القرّ، فلنُمهلنّ،
يمرُّ الشتاءُ،
ومرَّ شتاء. ومرَّ مساء
ومرَّ،
ودار على الناس شيخٌ وصبّ لهم قهوةً
فاشربوها، وسدّوا عيونكم، واستريحوا،
وخلَّو الجيادا..
وفي السرّ، صلَّوا لها أن تحيدَ حيادا..
سأورقُ في سكنتي يا عشيري،
على الماءِ شوكاً قتادا..
وفي وحدتي، استشفُّ المدى، والطريق،
وأعرفُ سمتي..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

هو القدسُ سمتي.
على مشرف الريح.. هيْ.. فاتركوني،
وخلّوا عيوني، تراقبْ رياحهمو حين تأتي،
ضعِ اسمي على الباب، يا صاحبَ السجنِ،
يَعبرْ بهِ الجيشُ فالريحُ تعرفُ اسمي،
وتذكرني في الصباحِ الحزينِ..
خرجتُ له عاريَ القلبِ،
ما أسبغوا الدرعَ دوني، وما أسرجوا لي حصاني
... رأتني، أليفةُ روحي وحيداً، أشاحتْ،
وفي محنتي تركتْني...
رأتني الحبيبةُ، ملقىً على دكّةِ القدسِ نذْراً،
مددتُ لها عُنُقي، وصرختُ: أريحي انتظاري
فما ذبحتْني.
رأتني على سور سجني. حزيناً، حبيبةُ قلبي.
وفي غربتي أنكرتْني.
وظلّتْ.. هي الريح صوتي...
هي الريح، ولتورقِ الريحُ، ورداً خزامى لقومي
لَيُعجبني أنني عربيٌّ، وأنّكمُ أهلُ بيتي
ومهما يكنْ.. فحنيني لكم، فوق ما يبلغُ العتبُ عندي،
جراحي وقيدي وصمتي..
ووالله: لا... ما عدا القيدُ في معصميَّ،
حديداً به ترسفونَ.. وتستضعفونَ.. وتستغفلونَ
وأصرخ: ها... أيّها العربُ الجائعون..
كُلُوا ربَّكم.. فهو تمْرُ.
ألا... واطردوا البائعين من الهيكلِ القدسِ
بيت أبي للصلاةِ- يقول الكتاب-

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأنتم تركْتم سقايته للصوصِ
....
رحىً.
فَلْتدُرْ... وارصدوا البحرَ،
فالحبرَ، ربٌّ عدوٌ
ولا يهجعنَّ لكم هاجسٌ، واستريبوا به،
تحرّك أسطولُه السادسُ..
تحرّك..
لا تهجعوا.. لا تناموا..
ألا عميتْ، مثلَ بوم عيونُ الذينَ،
على حَدّ ما يكمن الخطبُ ناموا..
على حدّ ما تستريب النبوة، أو يكبت الخوفُ،
من هدأةِ الماءِ فوقَ الضحى..
سيأتي.. سيأتي تقول المخاوفُ، في غفلةٍ،
فاسمعوه، أكادُ أحسُّ، على منكبيَّ،
دبيبَ الخطى.......
هو الخجلُ الحقدُ، حدَّ الخيانةِ صوتي..
هو الحزنُ ماءٌ، قرارٌ، جبانٌ، ترابُ.
وأهل الخيانة خانوا، وخابوا..
وفي خيبتي الحقدُ، ريحٌ بها ثأر عشرينَ عاماً
كأنَ يداً نطفتْ فوق عرسي حراماً
كأنَي أنا الخنْثُ: بعثُ القرابينَ في القدسِ
لا... بل أجل!!
من يبرَئْ يديه.. يقمْ بينكم
فأريه على راحتيه بقايا حزيران، أو فلأقُلْ:
خانني أهلُ بيتي،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأوجعني الحزنُ في ذلّ صمتي.
وأوجعني الصبرُ.. والصبرُ قلبٌ يمينُ..
وأطفئت النارُ عندَ المضاربِ،
واشتعلَ الصبرُ في موقدِ السامرينَ رمادا
لعامٍ.. لعشرينَ،
ما أورت الريحُ فينا زنادا.
وهاجرت الشمألُ العنفوانُ.
وبالَ على الصنمِ الثعلبانُ.
وكأن أبي صامتَ الوجهِ والقلبِ،
محمله مثقلٌ
وأمّا أنا، الريح صوتي.
أنا بعت حزني وصبري وصمتي،
لكلّ المرابين في السوقِ،
وابْتعتُ سيفاً وترساً.
إلهي. أمل وجهَكَ الشهمَ قدساً
أمله، كما السيفِ، أصفى.. وأقسى
وخذْني.. هي الريحُ منزلها القدسُ، يا ربُّ،
والصمت سجني..
وقد كنتُ يبّسني الصمتُ، واسودَّ روحي،
وأوجعني الماءُ فوق جروحي،
وشُلَّ على مسند الصبر متْني،
ونمتُ، وأيقظني المنشمُ.
صرختُ ارفعوني..
على مشرفِ الشامِ، فلترفعوني
ضعوا مقلتيّ على سور سجني..
فها مطرٌ موسمُ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وها مُغدقٌ مشئمُ
وها.. واتركوني على صخرة..
عند بابِ "القنيطرةِ" المستباحهْ
أغنِّ لكم.. سأغنّي لكلِّ جراحهْ
فهذي التي تمسحون على جرحها بنتُ عمّي.
بعثنا بها للرحى وحدها، وهي بكر أبيها،
العروسُ الولودُ.
فحاصرها في الطريق الجنودُ
فمرحى لها، عصبتْ شعرَها،
وشدّتْ على زندها المئزرا.
ومرّتْ بها الريحُ فاستنفرتْ، وانتختْ...
كفلاّحةٍ، شبّتِ النارُ في حقلها،
قبل جمعِ الحصيدِ,
واغبرتِ الريحُ يوماً عبوساً، طويلا...
وناش القنيطرةَ الغاصبونَ، وأدموا.
وشقّوا لها المئزرَ اثنينِ، يا قومُ،
فليخفقا كاللوا...
ولتهبَّ الرياحُ..
ويختزَن الغضبُ الفحلُ، ولتُستدرَّ،
على ما بها من نزيفٍ، جراحُ.
وها مئزري، ولتغطّوا به وجه قتلاكمو...
واشلحوا الكِبَرَ الزيفَ عنكم.
وكالبدويّ اشعلوا نارَكم، فهي ثارُ.
... حزينٌ.. على الثار، لا تسألوني.
ومن غضبي، عميتْ مثلَ بومٍ عيوني.
وقد كنتُ آليتُ، أفتحُ جفنيَّ للريح،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

حدَّ احتراقِ الجفونِ.
وقد كنتَ يا ثأرُ أضفيتَ لي،
غُزّةً من دمٍ في جبيني.
فَحَرِّقْ..
أجلْ. وتحرّقْ بنا،
كاحتراقِ السراجِ، رويداً رويدا.
بحيث يعضّ الجنينُ الحشا.
على طول ما يرضعُ الطفلُ، حدَّ الفطامِ.
وكُنْ وشلاً من دمٍ في الطعامِ.
ولا تنطفئْ، مثلَ شمعِ اليتيمةِ،
لا يا سراجُ.
تَحرْقُ، فقد ملَّ منا الحداةُ،
قوافلَ عرجاءَ لا تُنتخى، ولا تستفَزُّ، سوى أنها،
تسدُّ الطريق على من مشى!
تحرّقْ. فلا تُبقِ زرعاً، ولا تُعطِ ضرعاً.
وتغْني جنى.
أحِلْها حقولاً، يدبُّ الجرادُ على وجهها
ويسيرُ الوبا.
لتمحلَ. فالجوعُ أجدى بنا،
وأحرى على الثأر حرّ الظما،
وأن نُحرمَ الشمسَ، لا نستحمّ،
على بطرٍ بالهوا والضيا.
تحرّقْ تُنغِّصْ على الضاحكين تقلّبهم في الرخا.
ولا تعْطهم، جُنْحَ إغماضةٍ ينامون فيها،
وخلِّ الكرى، إذا مسَّ،
يصنعها مفزعاتٍ: رؤىً كالصواعقِ لا تُحتمى..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ومن يحتمي؟
إنها الريحُ لا تُدّعى كذِباً، أو يُكنّى بها الزيفُ،
أو يُفترى باسمها، أو يُداجى لها.
ومن يكذبِ الريحَ عينيه يَعْمَ فليس يرى!..
ومن يتشكّكْ.. يعذّبْ على شكّهِ،
كالبعير المُعبَّد خوفَ الوبا..
ومن يتردّدْ، إذا همّتِ الريحُ،
يُصلبْ إلى ذلّهِ، وتقطعُ أرجلُه من خِلافٍ،
ويُرمى لسبع الفلا
ومن يَخُنِ الريحَ...
سدّوا المنافذَ
ولتنظروا في الوجوهِ،
وجسّوا الجلودَ، وجسّوا العيونَ،
وجسّوا الوجيبَ،
وجسّوا...
وجسّوا...
عسيراً ولا تغفروا..!!
آذن الصبرُ للمنتهى!!!

حزيران 1967

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

انتظريني عند تخوم البحر

أسمعُ صوتَ حبيبي يدعوني الليلةَ.
فانتظروا قلقي..
إنّي ذاهبةٌ للماء،
أَجرُّ إزاري
فوقَ عيونِ السمكِ المحزونِ،
وأملأ من بيتِ البحرِ إنائي.
زَبَداً،
ومحاراً للساكنِ في الغُرْبةْ..
أستحلفكنّ، بناتِ البصرةِ.
إن كان بكُنّ حنينٌ، يُنضِجُ في شفتيَّ الطلعَ لهُ،
مِلْنَ عليَّ إذنْ..
وامسحنَ على جسدي منكنّ،
فبيتُ حبيبي تعبٌ،
وسريرهُ من خشبِ القاربِ،
أهملَهُ الصيّادونَ،
ونقَعه الماءُ قروناً،
فهو إذا أشتى الفصلُ يعِنُّ،
ومغتلِمٌ كالمرأةِ مخدعُهُ..
مغتلمٌ كالماء،
أقمتُ به روحي،
عاريةَ القدمينِ،
مُبللّةً،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سيجفُّ الملحُ عليها، فهي سواحلكم حين يجنّ الليلُ..
-تعالوا يا صيّادي بلدي..
ذوقوا مُتّكأي..
فأنا متواضعةُ القلبِ،
وحملي للأهلِ خفيفْ...
قال الصيّادونَ:
-هربنا للبحرِ، وجرّبْناه دُواراً،
واصطدْنا سمكاً، أزرقَ،
مثل وجوهِ الغرقى..
وجَمَعْنا فاكهةً للشكِّ،
بلِ البحرُ هو الأحنى..
إنّا لا نأمنُ أن نُخدعَ فوقَ خديعتنا الأولى.
إن تَكْذِبْ هذي المرأةُ..
فالبحرُ هزيمتنا الأخرى!
-يا صيّادي بلدي..
في جسدي ترسو كلُّ زوارِقكمُ
عودوا..
كسدَ الموسمُ..
ماذا تملكُ أن تصطادَ شِباكُ المهزومينْ؟!
....
....
أسمعُ صوتَ حبيبي، يلمسني،
كالماءِ على ضَفَتي...
-مُدّي للحلمِ ذراعيكِ،
وخلّي الصوتَ يَسلْ،
حتى العضدينِ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وضوءاً،
وانتظريني عندَ تخومِ البحرِ،
فإنّي أزمعُ أن أرجعَ من سفري..
-خارجة للقائكَ من بيت أبي،
حاسرةً...
قال الناسُ: اختبلتْ
من ذا تطلبُ عند صخورِ البحرِ،
لقد رجعَ الصيّادونَ،
وأقفرتِ الخُلجان..

....

شبحٌ أبيضُ عندَ خليجِ البصرةِ،
شاهدهُ الحرّاسُ، ثلاثَ ليالٍ
يخطرُ ملفوفاً في كفنٍ،
فارتعبوا...
قال الأولُ:
إني شاهدتهُ في ساعاتِ الليل الأولى،
وعلى عينيه أسىً كالفضّةِ،
مَسّتْني في القلبِ،
فخفتُ، وأغمضتُ عيوني..
قال الثاني:
وأنا شاهدتُهُ، في منتصفِ الليلِ
على بُعدِ ذراعٍ مني..
كان يحدّقُ بي غضباً:
نَدّ لهُ شَعْري..
فسقطتُ على وجهي مغشيّا..
أما الثالث، قالَ:

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أتاني، والفجرُ يكادُ،
رأيتهُ، عند الأفقِ الشرقيِّ
يُشير إليّ: تَقدّمْ..
فتقدّمتُ..
وإذْ قاربْتُهُ،
صاح الديكُ،
وغُيِّبتِ الرؤيا..

....

كالقمرِ المهجورِ، حبيبي
يا أهل البصرةِ،
ها أنذا، قبلَ لقاعحِ النخلِ، أجيء إليكم،
ملكاً في النحلِ،
فخلّوا في الليلِ نوافذَكم مُشْرَعةً.
عدتُ لكم من سفري
بهدايا من حجرٍ..
وبأعشابي كحَلتُ جفونَ عذاراكم
وخبَأتُ حصى قلبي بجيوبِ الأحلى

....

استُدعيتُ أمامَ الحاكمِ،
بَكَتني.. وسكنتُ المنفى..
كالقمرِ المحزونِ حبيبي..
قَصَباً مرضوضاً لا يكسرُ،
أو مصباحاً في الليلِ يُطَفطفُ.. لا يُطفي
تأتيه الفَرحةُ بين أصابعهِ.
فَيدقّ زجاج نوافذكم..
يا أهل البصرةِ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ماذا يُشبهُ فيكم قلبي..؟
صبياناً في السوقِ يغنّون أسىً..
صفّقنا للقومِ، فما رقصوا،
وتناوحنا بينهمو
لم يبكوا..
لكنّي، في الليل سَمِعْتُ نداءَ حبيبي..
فارتبكَ المغزلُ في كفيّ..
وبضعفي فيكَ، افتضحتْ،
يا ملكي.. لغتي،
وتكشّف للبصرة ما أخفي.
أستحلفكنّ نساءَ البصرةِ
لا تَحْقَرْنَ خروجي الليلةَ عاريةً.
إن حبيبي يبكي..
تأتيه الدمعةُ بين أصابعهِ،
ويجيء الموتُ،
فيغتربُ العالم عند سريرهِ،
لكن حبيبي بالشعر يموتْ..
تأتيه الساعة بين أصابعه
باردةً،
فيدقُّ جدار النعشِ،
ويستأذنُ،
من يأذن للشاعر بالشكّ،
وبالسفرِ الممنوعِ إلى الغُربهْ..؟
-أجّرْنا من أجلكَ تابوتَ الغرباءِ
وسرْنا من خلفكِ، كلُّ يحملُ عصرهُ،
فلينتبهِ الحرّاسُ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سيبتدئُ الدفنْ!

....

قال الأولُ:
إني شاهدتهُ،
كانت عيناهُ تدرّان أسىً، كالفضّةِ،
مَسّتني في القلبِ..
فخفتُ..
وكان البحرُ أمامي، حقلاً من سمكٍ قزحيٍّ
يسهرُ عند سريركَ،
أوغلتُ،
ودثّرني بردُ هزيعِ البصرةِ
واستوقفني الحارسُ،
فتّشني..
-هذا اسمي، يا حارسَ بيت الموتى..
فافتحْ لي..
خوّفني الحارسُ،
-عودي يا حلوةُ،
فالبحرُ الليلةَ مسحورٌ،
والساحلُ تسكنهُ الأشباحْ
من يمضِ إلى القمر الميّتِ، لن يرجعَ
تسجنه الأرواحْ..
يا حارسَ بيت الموتى..
صوتُ حبيبي وجعٌ،
فاتركْني
أقسمتُ عليك-
أمسُّ سعالَهُ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

علَّ دماً ينفثهُ،
يلقحْ في جسدي عقمَ امرأةٍ،
عاشرها الشعراءُ..
فما ولدتْ..
-وصفوا للعاقرِ، حزنكَ،
والغربةَ في رئتيكَ،
فجئتُ إليكَ، أضمَ نذوري:
خُصلاً من شعرِ نساءٍ سبعٍ،
أحببتَ.. فما أحببْنكَ..
واسماً..
أرخيت عليه جفنكَ.. فاقبلْني..
وانتظروا قلقي
....
فتح الحارسُ لي...
ها أنذا أدخلُ مملكةَ البحرِ،
وأوغلُ،
يتبعني نجمُ،
يدنو مني،
يتدلّى..
فيكادُ يمسّ الأرضَ..
توسّلتُ به:
-يا نجماً أبيضَ فوق خليجِ البصرةْ،
أقسمتُ عليكَ ثلاثاً:
بالمنفى..
بحنينِ الموتى..
وبأمواجِ "بويبْ"

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

إن كنتَ لخيرٍ جئتَ.. فقُلْ:
بعد قليلٍ، سوف يصيحُ الديكُ
ويُستدعى الأمواتُ إلى المثوى.
أو كنتَ لشرّ...
يا شبحاً فوق خليجِ البصرةِ
عُدْ للبحرِ،
شرورُ مدينتنا تكفي..
إنّا ابتعنا بالخيبةِ خُبّازاً،
ودماً،
واحتسبَ الكهّانُ لنا خرزاً،
عَدّ ضحايانا..
فهي قلائدُ تلبسها امرأةٌ،
عاشرها الشعراءُ ثلاثينَ
فما ولدتْ.... ....
-خُذْني..
شتّى بي قمرُ العمرِ،
ونَغَزني في موضع رحمي منكَ
وحامٌ كالقهوةِ،
والحارسُ عيّرني فيكَ،
وخوّفني منك بنو عمّي،
والسابلةُ المحترفونْ،
قالوا:
"ماتَ حبيبكِ، يا امرأةَ الشاعرِ
فاغتسلي بالبحرِ
لأنّكِ من بعدهِ لن تلدي".
واجتمعوا من حولي.. وابتدأوا يبكونْ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أجّرْنا من أجلِ حبيبكِ تابوتَ الغرباءِ
وسرْنا خلفَ جنائزنا.
تتبعنا البصرةْ
حتى أوفينا... جيكورَ،
قرأنا اسمك محفوراً في صخرهْ
"قرأتُ اسمي على صخرهْ.."
"على آجرّةٍ حمراءْ.."
"هنا في وحشة الصحراء.."
"فكيف يحسُّ إنسانٌ يرى قبرهْ؟"
....
أصغوا
أسمعُ صوتَ حبيبي، مُلتصقاً بالصخرةِ
يُنَقَعها عرقاً..
أسمعُ أعشابَ البحرِ على أخشابِ القاربِ تنمو..
أسمعُ موتَ العالم فوق سريرهِ
-يا شاعرْ... مُتْ منفرداً..
طوبى للقتلى منفردين أمامَ ضمائرهم،
لم ينتظروا أن يُعطوا أوراقَ بطولتهم،
وشهاداتِ الدفنِ...
....
وتطلّعتُ إليه /
رأيتهُ
كانت أكفانُه بيضاءَ بلونِ طيورِ البحرِ،
مفتّحةً عندَ النحر،
وكانَ نحيلاً عذباً كشموعِ النذرْ..
فهتفتُ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

-أميري..
أقسمتُ عليكَ ثلاثاً..
إن كنتَ لخيرٍ جئتَ.. فقُلْ..
بعد قليلٍ سوفَ يصيح الديكُ..
ويُستدعى الأمواتُ إلى المثوى..
أو كنتَ لشرٍّ..
عُدْ للبحرِ
شرور مدينتنا تكفي...
بالحزنِ رجعتُ إليكم، يا أهلَ البصرةِ
ليس سوى مرضي.
وسريري،
وهموم، ابن الريبْ
فأنيخوا رحلي عند، بويبْ.
واختطّوا بالرمح من الأرض، مكاناً لي،
جئتُ أندّي وجهَ البصرةِ من عطشي...
وأرشُّ على أهدابها من غبشي
فأعيدي بعضَ صبايَ،
أعيدي بعضَ صبايَ... إليْ..
-لحنينكَ أبني عند "بويبَ" خيامي
وامشّط شعري..
أتزوّق.. يا ختنَ البصرةِ،
أخبزُ
أنضجُ..
ألعبُ..
أبعثُ طفلاً، يرسمُ وجهكَ فوق جدارِ مدينتنا..
دائرةً بيضاءَ،

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

لها عينانِ، تشعّانِ كشمعِ الحاصودْ..
نذراً..
إن عدتَ معافىً،
أخرجُ عاريةً للناسِ،
وأرقصُ،
أرقصُ،
حتى يندى الحجلُ على قدميَّ،
وأختبلُ،
ويسيلُ الكحلُ على الخدّينِ،
ويشتعلُ الروحُ على دربكَ
من "جيكورَ"... إلى البصرهْ
....
شبحٌ..
شاهده الحرّاس.. ثلاث ليالٍ
فارتعبوا..
قال الثاني:
كان على بُعد ذراعٍ منّي،
يتفرّسُ بي غضباً، نَدّ له شعري،
فسقطتُ على وجهي مغشياً:
وسمعتُ الشاعرَ يسألني:
-يا وطني..
ماذا كان عليّ إذنْ أن أصنع للكرمِ،
ولم أصنعه؟
أماءً غيرَ دمي، بذلَ الفلاّحونَ،
فأغنتْ كرمتُهم عنباً..؟
وبغير شبابي، طلعاً،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لُقِّح نخلُ البصرةِ،
فاسّاقطَ دونكمُ رُطبا...؟
وبموتٍ
أصدق من موتي، يُتباهى..
يا وطني؟
ماذا كان عليّ إذنْ أن أصنعْ؟
أحمل أمتعتي؟
وأطوفُ مقابركم؟
وأقولُ رثاءً في خطبِ الجمعةِ،
للشهداء الأبرارْ؟
....
-لحبيبي الغاضبِ، شعري المخضوبُ،
أحلّ جدائلهُ،
وألفّ به جسدي خجلاً..
أستحلفكنّ بناتِ أبي،
لا تحقرن حيائي..
فأنا أسلمتُ إلى الجند الملكيِّ،
كنتُ مُفتَّحةَ العينينِ، أراقبُ:
كيف أمارَسُ في غضبي..
كنتُ وهم ينتهكونَ دمي،
أبحثُ عن وجهكَ بين وجوهِ الجندِ على جسدي،
وتمنّيتُ لو أنكَ تأتيني معهم يا حُبّي..
يا جندَ الملكِ.. اغتصبوني..
وليأتِ حبيبي معكم..
-ماتَ حبيبُكِ يا امرأةَ الشاعرِ،
فاغتسلي بالبحر،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لأنكِ من بعده لن تلدي...
-من هذا القادمُ بالغربةِ من ضَفَةِ العالمِ
فلتخرجْ دونه سبعُ رياحٍ،
تنضو عنه قميصهُ،
كالسيفِ تجرّد من غمدهِ،
والتمعَ القمرُ الغاضبْ..
وابتدأ الشعرْ....

....

بدم امرأةٍ، يبتدئ الشعرُ..
سريرٌ،
أعقدُ فيه خصلاً من شعر حبيبتنا الأسودْ
وهو قماطٌ منقوشٌ بورودٍ حُمرٍ.
وجنينٌ،
لصقَ مشيمتها، لم يولدْ
وهو الموضعُ نفسه،
حيثُ دماؤهما جفَّت
فالويلُ لكم...
إن دماءَ الشاعر لا تبردْ
وهو الشاعر مضطرباً...
فهو يقلب في الأفق الشرقيِّ
عيوناً سوداً..
يا وطني،
أبعثْ للشاعر منكَ شراعاً في الأفق الشرقي...
ابعث صاريةً حمراءَ،
تكحّلُ شوقَ الشاعرِ،
يا بحرَ الوطنِ العربي..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

خلّ على أشرعةِ السُفنِ المبحرةِ الليلةَ
قمصانَ فدائييكَ المذبوحينَ،
نذوراً عند خطوط النارْ..
وهناك.. أمامَ الموت..
انتظروا غضبي..
....
أخبزُ
بالحقدِ
لأهلِ الجنّة أرغفةً من ذهبٍ
يا أهلَ الجنّةِ،
ماذا يأكل أطفال البصرةِ حينَ يجوعون؟
وبمَ من قدْرٍ،
تغلي فيه الماءَ عجوزٌ؟
وتُمنّي جوعَ فراخٍ زغبٍ:
"رويداً.. رويداً..
بَنيَّ.. قليلاً...
سينضج في القدر ما تأكلون.."
منذ قرونٍ، والماء على صبر الصبيةِ يغلي،
فينامونَ، ملائكةً مُتعبةً،
وتنام البصرةُ جائعةً..
ويظلُّ نداءُ عجوزٍ،
تغلي في القدر الماء.. يُمنَي،
بحساءٍ، لا ينضجُ،
رملَ الشاطئ..
والنخلَ على أطرافِ "بويبْ"
بالحقدِ خبزتُ لأهلِ الجنَةِ أرغفةً،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

طُفتُ بها أرصفةَ الميناءِ،
وساومتُ التجّار على تعبي..
وقرأتُ على ألواحِ السفنِ الغربيّةِ
أسعارَ الزيتِ
وتمرِ البصرةِ. والإنسانِ العربيْ
فَبِما من كذبٍ تُتسغفلُ ذاكرةُ الجيلِ،
على عطشٍ،
عطشتُ دباباتُ الجيش المهزومِ،
وألوتْ فوقَ الرملِ، تدسُّ غلاصمَها الغداراتُ
وأرخى المدفعُ عرنيناً..
فتعالوا، نبحثْ عن وجهِ حبيبي،
فوق جذوعِ الجندِ المهزومين..
....
-من هذا الفارسُ، يمشي فوقَ مياهِ الأردنِّ،
يحمل رأسهُ في كفّيهْ؟
إن كان غريباً..
فليترجّلْ.. نُسْكنْهُ أعزَ منازلنا..
أو كان حبيباً..
-أستحلفكنَ بنات أبي..
لا تلمسنَ جراحهُ،
فهي ثيابُ زفافي،
عاد بها ختني من خلفِ خطوطِ النارْ...
وهي الشاهدُ يا وطني..
فاستدعوا لحزيرانَ شهودَكمو الزورَ..
سأدعو جثثَ الأحياءِ المهزومينَ،
وأنهضُ من كفني

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فأشير إليكم..
فاحتسبوا غضبي

....
أمّا الثالثُ، قالَ:
أتاني والفجرُ يكادث..
رأيتهُ يدعوني.
فتقدّمتُ،
وإذْ قاربتهُ،
خُيّلَ لي أني أسمعُ صوتاً يصرخُ:
-يا شبحاً يحملُ آثامَ الجيلَ على كتفيهِ
احذرْ
هذا العصرُ يلاحقُ حتى القتلى،
ويشكّك بالشهداء..
ماذا يملكُ أن يفعلهُ الشعراءُ؟
لقد سقطَ الشعرُ،
فعُدْ للبحرِ.. شرورُ مدينتنا تكفي..
أمّا أنتم،
فتعالوا نذهبْ للعرّافينَ،
ونستجلي الطالعَ:
-يا عرّافَ البصرةِ..
أقسمتُ عليكَ ثلاثاً:
بالمنفى..
بحنين الموتى
وبأمواجِ "بويبْ"
نَبِّئْنا بالغيبْ
فُكَّ اللعنةَ عنا،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

واصنعْ من أعشابِ البحرِ نقيعاً،
يشفي وجعَ الأرحامِ،
لقد هَزُلَ الصلبُ العربيُّ
فما يولدُ في هذا البيت نبي:
كذبوا..
إنّا علّقنا، فوقَ نخيلِ الكوفةِ
ألفَ نبيّ..
وغسلنا أيدينا..
وقعدنا.. للموسمِ..
نبكي..

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

سفر الرؤيا

أصغوا
هذا تعبي، مُهرٌ يضربُ طولَ الليلِ حوافرَهُ
بالأرضِ، ويصهلُ.
جَمّعتُ فمي لصراخٍ يوقظكم..
فالساعةَ، حتى الصرخةُ تعوزني.
وتظلّ حروفي، لحماً يتمزّقُ بينَ الفكّ الأسفل
والأعلى..
من يخلعُ لي أضراسَ العقلِ. فقد جاوزتُ مراهقتي..؟

من يخلعُ لي أضراسَ العقلِ. فقد جاوزتُ مراهقتي..؟
من يُعتقني منْ بيتِ الرؤيا؟
من يمنحني فرساً عمياءَ أطوفُ بها الدنيا؟
وكمثلِ نبيّ ينكره أهلُ مدينتهِ.. سأُذلُّ،
وتأخذني عزّة نفسي حتى الموتِ؟
فأحملُ تاجي .. وعصايَ..
وأرحلُ ..
أبني بيتا في القفر، له سبعة أبوابٍ موصدةٍ ..
أبوابٌ .. خشبٌ ..
تصفر بين مفاصلها الريحُ .. وتعْولُ ..
وَيْحي ..!!
من فتحَ الأبوابَ ؟ وحلَّ اللغزَ ؟
أشارَ ملاكُ الربَّ اليَّ : أن اسكُتْ ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فسكتُّ ،
وأعولتِ الريحُ ورائي ،
واصفرَّ من الموتِ القفرْ ..
وتخطّينا جثثاً تعرفني ..
كانت إذْ أعبرُ .. تجذبُ أذيالي .. تستوقفني ..
تتبسّمُ لي أحياناً
فأشيحُ .. ويأكلني الذعرْ ..
حتى أوفى الروحُ الى أرضٍ ناشزةٍ كالصدرِ ،
وأعطاني رفشاً ، قال الربُّ : احفرْ.
مولايَ – صرختُ – رجوتكَ لا تلعنّي ..
من يجسرُ أن ينبشَ أجداثاً هادئةً ..
صرخَ الروحُ : احفرْ ..
.....
الرفش يجرّحُ صدرَ الأرضِ ، فاسمعُ أنّاتِ الموتى .
عالقةً بالرفشِ تنقّعه عرقا ..
ويحي !
عرقُ الموتى ندّاني .. خضبني ..
عرقُ الموتى .. أرعبني ..
لكن يدي ظلّتْ تحفرُ .. والربُّ .. يراقبني
حتى ارتعشَ الرفشُ .. وأومضَ نورٌ كالوحشةِ
فوقَ عيونِ الربْ ..
مولايَ – صرختُ – أعنّي ..
فتبسّم لي . ورأيتُ دموعهُ في عينيهِ
وأبعدني عن باب القبرْ ..
ورأيتَ الروحَ يمرُ أمامي كالسيفِ .. ويجثو ..
حيناً ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأشارَ إليّ : تأمّلْ..
فنظرتُ ..
رأيتُ على يدهِ جمجمةً تبتسمْ ..
ورأيتُ عليها شيئاً لزجاً كالدمْ
ورأيتُ بقايا خصلٍ من شعرٍ أسودَ،
قال الربُّ : أتعرفها ؟
ما طاوعني الحزنُ ، وعذّبني الوجه المعروقُ ،
بلا عينينِ .. بلا شفتينِ ..
أعاد الربُّ : أتعرفها ..
كان الصوتُ الآنَ رهيباً غيبياً ..
ردَدهُ القفرُ ..
اتعرفها .. رفُها .. رفُها ..
وبدا أن جناحاً يخفق من حولي : رِفُها .. رِفُها ..
وأتى من عمق القبرِ: أنينٌ وأني ..
أنظرْ ..
هذا وجهُ "هناء الشيباني" (1)
فسقطتُ على وجهي وغشيّا ..

....
....
ذبالةٌ .. وتنطفي ..
تأخذُ من رمادها بكفّك اليسرى .
وخلِّ فوقها من كبرياء الموتِ .. قطرةً
وقطرةً أخرى..
ولتجبلنّ طينتي.

(1) رفيقة الشاعر مناضلة قتلت في السجن.

«AlfYaa» منشورات «ألف ياء»

أنا الحزين – هكذا يقول الروحْ .
فليوقدْ سادنُ معبدِنا قنديلاً
وليذبحْ طيراً قرباناً،
وليكنِ الطير حراما،
زغبَ الريش يماما ،
إنّي بدمِ الطيرِ غمستُ يدي ..
وبصمتُ البابَ ،
وجئمُ اليكم – يا أهل الكوفةِ – بالأحزانْ .!
رأسَ حبيبي الظامئَ فوقَ الرمحِ .. وصمتَ ابن الإنسانْ
قصبَ الأهوارِ حملتُ لكم ،
والريحُ ورائي أكلتْني ..
فنذرتُ لها..
من كان له أذنانِ ليسمعَ .. فليسمعْ .. [1]
....
هَوْناً ...
هَوْناً ...
أهوَ الماءُ تقطّر فوق الصخرةِ ،
أمْ نبضك ينزف من عُنُقِ الطير المذبوحْ ؟
ينزفُ من عنقي،
لكني أرفض أنْ أُسلمَ عنه الروحْ ؟
يا فرّيسي هذا العصرِ ..
أما أغمضَ جفنيه أحدٌ منكم، وتسمّعَ:
حيّاتِ أولادَ أفاعٍ توقظهُ ..؟

---

[1] من سفر الرؤيا في الإنجيل.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فأنا يوقظني تعبي ..
فأراها تقبل حافيةً،
وأُحسُّ أصابعها الورديّةَ فوقَ سريري باردةً
ويمرُّ على ندمي الوردُ، فاستسلمُ فيها ..
يا حلوةُ: إنّي أحببتك عاريةً،
أجملُ عريكِ في القدمينْ ..
أجمل عريك فوق فراشِ حبيبٍ مقتولْ ..

قومي
فالليلةَ .. بين الفجرِ وبين الفجرِ قُتلتُ،
ونبّهني لغَطُ القتلِ،
ففتّحتُ عيوني
ورأيتُ رجالاً من حولي بثيابٍ بيضٍ،
وعيونٍ من خرزٍ..
واستُجْوبتُ عن اسمي ..
خفتُ .. فأعطيتُ اسمكَ يا ((عبد الخالق محجوب))

فلتعذرْني ، أنتَ ترى،
أنّك فوق فراشي مُلقىً
بثيابٍ بيضٍ،
وملاءاتٍ شاحبةٍ،
وشموعٍ من صمغِ الأشجارْ...
وبمجرى النيل الأحمرِ، يأخذكَ الموتُ إلى
رؤيا
تتغنّى طول الليل أراملها..
"بلا لَوْمٍ... ولا لوْمٍ.."
"سلاماً يا بني عمي......"

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

"حبيبي عاد من عمّانْ....."
"فلما شالَ لي يدَهُ........"
"ولمّا حطّ لي يدهُ......."
حلا...
فالرؤيا ربٌّ.. يدنو منا.. محمولاً فوقَ سحائبَ
من أحزانِ الدنيا..
عيناهُ، حجرا ماسٍ، يتخضّبه خيطٌ دمويٌّ،
في جفنيْ أبنوسٍ أسودْ
فمهُ، فوهةُ غِمدِ زُمّتْ..
فانطبقتْ شفتاهُ على جُرحٍ مُجهدْ..
وبكفَ الربِّ.. حسامُ ومَاضٌ.. كهلالٍ فضّيّ،
إذ يرفعه يتلالا،
فيلوحُ كعشرة أسيافٍ، تتفرّقُ في ألوانِ عسجدْ.
وعلى صدرهِ، درعُ سابغةُ،
تثقبها تسعُ نجومٍ حمرٍ تلمعْ..!
من كان له أذنانِ ليسمعَ.. فليسمعْ...
فالربُّ يعودُ الساعةَ ممتطياً فرساً عربياً،
يتوهّجُ عَرْفُهُ كاللهبِ المسفوحِ على القربانْ...
فرساً.. عيناهُ تصبّان دماً.. زَبَداً،
يتحلّقُ حول براطمهِ..
ويسيل على الأرْسانْ..
ويسيل على تعبي..
فيراهُ الناسُ، وأسمعُ جنديّاً،
يهمسُ في أُذُني:
ابرقْ للأردنِ.. أبرقْ للمغربِ.. أبرقْ للسودانْ..
ابرقْ ثانيةً لمطارات حزيرانْ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

....
لا شيء سوى وطن يتعذَب بين الثورة والردَة
والنسيانْ!
فليوقدْ سادن معبدنا قنديلا
وليذبحْ حَمَلاً قرباناً..
دعاني إلى عيده الملك المغربيُّ "بقصر الصخيراتِ"
واستأذنَ السرُّ عندَ المداخلِ عنَي..
مرَرْتُ..
وأُشربتُ.. كان دمي تعباً..
فتعالوا أعيدوا إلى ساعةِ الصفر روحي التي
نزفتْ..
هلمّوا اقرأوا في الاذاعاتِ عني بياناً.
لقد ألحدَ الحزنُ..
من ذا يعيدُ الثواني إلى بيتها لحظةً..
ريثما يستقيلُ الشهيدُ؟
لا تبكوا..
فأنا للوطن العربيّ، حملت قميص الرجلِ المذبوحِ
شرائطهُ الحمرَ
سدارتهُ..
وبقايا من شعرٍ أشيبَ في فوديهْ..
ولبيتي.. حجيث تمرّون، حملتُ الألق المتبقّي..
ساعاتٍ بعدَ المقتلِ في عينيهْ.
وظلَّ يلاحقني حدسي..
يلخّصُ من قسماتي، مطاراً بعمّانَ..
قلتُ لبرجِ مراقبةٍ عند (دوّار مكسيمَ)
إنّي الأسيرُ المرقّمُ ألفاً وتسعَ مئةْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأنا تعبي اخترتُ..
فمن كان له أذنان ليسمع فليسمعْ
بالرؤيا امتلأتْ روحي:
وسمعتُ ورائي أطفالَ اللدِّ يصيحونْ..
"تنبّهوا.. تنبّهوا.."
"يُفتّحُ الواوي....."
"عيونَه السماوي....."
"فقمْ إذنْ يا جُلجلَ الذهبْ..."
"ودقَّ دقَّتكْ..."
"واشربْ على اسم الله قهوتكْ..."
"من قبل أن تحسّ وقعك الليالي.. هيّ!!!"

....
قال الناس: رأيناه في الحلمِ على كتفيهِ وشاحٌ
أحمرٌ منسدلٌ،
وهلالٌ أسودْ
قالوا: ورأينا رجلاً.. والرؤيا لا تكذبُ،
يحملُ فوق الكتفينِ،
سلالاً.. خبزاً.. تأكلُ منه الطيرْ..
تأكلُ من الرؤيا..
أعطوني فرساً حمراءَ أطوف بها الدنيا..
وكمثل نبيٍّ يقتله أهلُ مدينتهِ..
أحمل تاجي.. وعصايَ..
وأدخل للخرطومْ..
فأنا بالموت اخترتُ.. وبالرؤيا مهّدتُ لكم روحي،
وسمعتُ ورائي أطفالَ السودانِ يصيحون:

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

"يا أحمد الشفيعْ..."
"تَعشَّ الليلَ عندنا.."
"من قبل أن يقتادكَ الجنودُ للإعدامْ.."
"حتى إذا انزاحَ عن السودانِ آخرُ الهزيعْ.."
تطلّعتُ من ثغرةٍ في دمي..
رأيتُ المدينةَ تُصْعِد ثورتها من غلاصمِها،
فاعتذرتُ لها بالدموعْ..
-أجلْ يا ابن أمّي
دموع الرجالِ علامةْ..
وصمتي لديكَ صَخَرْ..
وما بين أحلى المنى والندامةْ
"يكون كلّ شيءٍ بيننا بالدَّيْنْ.."
"حتى دموع العينْ.."
فالرؤيا لا تكذبُ...
والحزن أباريقُ نحاسٍ غسّلنا فيها أيدينا،
وشربنا تعباً حتى اختنقَ القلبْ..
وأنا غيرةُ قلبي خنقتْني..
تأتيني ابنةُ جاري حافيةً
وتمدّ إلى ندمي الوردَ..
-لماذا في الحبّ تكابرُ يا قلبي؟
"ياسٌ وياسمينْ.. لجرحك اليمينْ"
"ياسٌ وجلّنارْ.. لجرحك اليسارْ"
فليوقدْ سادن معبدنا قنديلاً..
وليذبحْ حَمَلاً.. مازال حليبُ المرضعِ في فمهِ
وليبرقْ للجندِ على أسوارِ الخرطومْ..
-يا حرّاس انتبهوا..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

من أين يفرّ الوطنُ المظلومْ؟
صمتاً..
فهلالٌ أسودُ ما يورثُ سعداً،
واستدعوا يوسفَ من سجنهِ،
فرعونُ رأى حُلُماً..
والناسُ رأوا حُلُماً..
بقراتٌ سبعٌ عجفاءُ ابتلعتْ سبعاً ناصحةً
ورأيتُ كأنّي أعصر خمراً..
ورأيتُ على رأسي خبزاً تأكلُ منه الطيرْ..
لهذا.. أعيّركم بدمي..
بالقتيل الذي عبر النهر.. يرفعُ مستسلماً
ساعديه، ويُدلجُ...
خمسُ خطىً بيننا..
والمياهُ التي حَمَلَتْني.. كلا الضفّتين عدوٌّ..
وتبقى الطحالبُ بيتَ البراءةِ..
صارتْ جروحي نباتاً يرفرفُ في الماءِ..
وانكسرَ الضوءُ فوق جبيني...
لكن وا أسفي.. لغتي لا تصلحُ..
فرعونُ رأى حلماً
والناسُ رأوا حلماً
ورأيتك بين الحلمين وسيماً كالموتِ،
فخفتُ.. وخُيّل لي أنّي أقتلُ فيكَ..
سلاماً من يقتلُ عنّي الليلةَ "قيسْ محمّدْ صالحْ"؟
... تفَصَّدَ من جبهتي عرقاً ودماءً..
ومرّ قطاراً.. وأبرقَ مثل السحابةِ
بات عشاء لدى غُرفِ الموتِ خلّفه الراحلونْ...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

-وأما أنا تخلّفتُ عن موكبي ساعةً
وكنت أفكّر بالشمس والعشبِ..
ثمّ ابتدا الطلقُ.. سالَ على فقراتي..
وأسلمني رِعشةً كالولادةِ.. كدتُ أميلُ لها من نعاسٍ:
فزاحمتُ نفسي..
وزاحمني كبريائي وثاقي..
وفي موضعٍ مُبهمٍ كالجزيرةِ،
أحسستُ بالنيل يأخذني صاعداً بي إلى النبعِ.
حيثُ ترفُّ مهاجرةً كالنوارسِ أجنحةٌ من عقيقٍ.
وخُيّلَ لي أنْ خمسين سنبلةً لصقَ قلبي توسوسُ،
ثمّ ابتدا الموتُ من نقطةٍ في السكون..
وهكذا..
ذبالةٌ وتنطفي
تأخذُ من رمادها بكفّك اليسرى
وخلّ فوقها من كبرياءِ القتلِ قطرةً فقطرةً
أخرى..

ولتجبلنّ طينتي..
أنا الذي.. أخاف كلّما قُتلتَ يا ابنَ الناسْ..
رأيت لواءً يقومُ على جثتي عند "منطقةِ الشجرهْ"
على كتفيهِ نجومٌ مراهقةٌ من نحاسٍ،
وفي الساعة العاشرهْ..
تطلّعتُ من ثغرةٍ في دمي..
رأيتُ لدى الأفقِ قافلةً تعبرُ النهرَ،
مثقلةً بالحريرِ المقصَّبِ والتبغِ..
تظمأُ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تأنسُ بالصلِّ والذئبِ.. لكنها..
تعبي.. والرؤيا..
قال الناس: رأينا حُلُماً: أمّاً ولدتْ طفلاً في
فمهِ أسنانٌ
كاملةُ الأضراسْ..
قالوا: ورأينا هرّاً أعمى يأكلُ أفراخهُ..
وارتعب الناسْ..
قالوا.. ورأينا.. بئراً طافحةً بالماءِ العذبِ،
عليها ناعورٌ.. ودلاءُ الناعورِ جماجمُ،
يجري الماءُ إذا انقلبتْ.. خَلَلَ العينينِ..
من الاذنينِ..
من الفكّينِ..
فإن فرغتْ..
مال إلى الخلفِ الرأسْ..
قالوا: ووعدنا في الحلمِ
بعامٍ يقبلُ أو يمضي...
فالربُّ رأى حلما..
والناسُ رأوا حلما..!!

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

خواطر بطل عادي جدا

(أرضٌ يتصاعد منها دخان الحرائق... شجرة... نافذة... جثة)

صوت مذياع: نداءْ
نداءْ
نداءْ
من إسماعيلَ إلى "واحدْ" في قمر الموتْ..
الوحلُ الأحمرُ "ناقص خمسةْ"
يساوي اثنينْ
أكرّرُ: "ناقص خمسةْ يساوي اثنينْ"

الكورس: إنّا لعِشاءٍ سريّ ندعو...

الفدائي: وبخمرِ الفصحِ ومائي
أغسلُ أقدامَ أحبّائي.
فوداعاً
الليلةَ يُسلمني أحدٌ منكم للموتْ. (1)

(وجوه قلقة... صارمة تتابع بصمت)

صوت الراوية: فالكلّ يرقبُ اللهفةَ في أصابع انفجارهِ،
والصمتُ في وجوه الناس،
يرتدي ضراوةَ الإعصار،

(1) صوت المسيح (عليه السلام).

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

قال "راءُ" أمسِ لي...

الفدائي: لَصديقٌ يقتلني أولى.
والمديةُ في كفّ حبيبٍ غفرانْ...
أمّا أنتَ،
فتنكرني قبل صياح الديكِ،
ويقتلني النكرانُ،
وأغفرُ..

الكورس: فاسألْ من غفروا
نذروا "للعباس" وما سجروا...
وبقرآن ابن الجمعةِ،
والوعدِ،
وشدّة وردٍ.

الفدائي: كلّ حبيبٍ أتبعهُ،
يوهمني بالتجربة الأولى،
فأموتُ على يدهِ،
- يا طيبة قلبي-
وأصدّقُ موتي.

صوت المذياع: فلإسماعيلَ المتضامن في رغبته بالموتِ،
وراء لثام فدائيٍّ..

الفدائي: اعطني شبهاً بالّذين أحبُّ،
أقترحني أخاً للتي عيّروني بها،
غَيْرَ القلب والشفتينْ

الحبيبة: وأرسمْ قمراً لاثنينِ،
أنا وحبيبي في منتصفِ الثورةْ.

الكورس: وارسم عشرَ نقاطٍ للحب، وللتفتيشِ..

الحبيبة: نما شعرُ القلبِ،

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

وطالَ،
فجاء يُمشّطهُ بأصابعهِ...
صوت المذياع: لكن سأكرّرُ:
من إسماعيلَ إلى "جبل النزهةِ"
في عمّانْ
حيّاكم.
ما زلنا ننتظر الأغصانْ
(صور معركة.. قتلى يتساقطون... قصف... دبابات)
الراوية: أصبحتِ الكتابةُ اليومَ،
كمن يكتب قبل موتهِ وصيّةً،
ماتَ كثيرونَ...
الفدائي: أحسّ أن أمسِ كان في خيالِ رجلٍ
غيري،
أو أنني خلقتُ هذا اليوم من جديدْ
....
الحبيبة: في اللحظةِ،
ما بين دمي وقميصي،
الفدائي: حين تصيرينَ امرأتي،
وتجيئين إلى قلقي،
عاريةَ الأزرارِ،
مشعّثةً، ترتعدينَ،
وتنمو اللذّة في جسدي
تنمو...
تنمو.....
(صوت انفجار... تعقبه ظلمة... وصمت)
الفدائي: يأتي رجلٌ في القاعة يوقظني...
إذّاكَ أحسّ بأني كنتُ أمثّلُ دورَ
شهيدْ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ويصير العمر نداءْ:

صوت المذياع: نداءْ
نداءْ
دشّنّا كلّ أكاليلِ الشوكِ
وجرّبْنا فاكهةَ الصحراءْ

(المعركة في الشوارع.. أصوات إطلاقات نارية... دبابة... جنود... أنقاض... تبدو فيها لوازم بيتية)

الراوية: تحوّلِ الرصاص عصفوراً
ونحلةً
وصارت "الدوشكا" فنادقَ المشاةِ،
والعيون تلتقي مع الأنقاض،
باللوازم الحميمة المبعثرهْ...

الكورس: ما ترى؟
فالذي عاد من موته مزدرى
ختنٌ جرب العجز عند سرير العروسِ..
كمنّا له خلف باب شهادتهِ،
ونطرنا أنيني البكارهْ
نراهن دون عذاباتهِ،
ظفراً، وانهيارا
ونرقبُ في عجزه خوفنا الأبديْ

الحبيبة: فملْنَ على سرِّهِ يا عذارى
واسترْنَ على ابن الناسِ،
بزوجِ يمامٍ أو فرخِ حمامْ.
يكفيه أنّ له ندماً من النومِ
وآخر في الصحوِ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الفدائي: كأنّك ملتبسٌ
وبوجهين
فأيّهما تختارُ
وأيّهما ترفضُ
من لذّتينِ
الكورس: فواحدةٌ لليمام القتيلِ،
وأخرى لنبضِ الدم المستحيلِ،
الفدائي: وثالثة اللذتين إذا صدّقوا.
الكورس: ومن يُخادعُ طيراً على دمهِ
أو يجاذبُ باكرةً ماءَ منديلها؟
الفدائي: تهمةً؟
مسّدوا الشاربينِ
وشدّوا حزامَ خناجركم..
(صورة دبابة ضخمة تتحرّك.. صورة جنزيرها.. غبار.. دويّ انفجار)
الراوية: فالمرأةُ الفولاذُ، تزحفُ الآنَ إلى "الحسينِ"
في جنزيرها الإغراء بالموتِ،
وضدّ الريحِ،
تقطع الطريقَ..
فالغبارُ والدمارُ والبارودُ،
والدمُ الذي يشبه في نحولهِ القمحَ،
الدمُ الذي يرفضُ أن يصيرَ ماءْ..
صوت المذياع: نداءْ
نداءْ
سوءُ الفهمِ هو السفّاكْ
الراوية: والبحر له سوراتٌ
الكورس: سمك يتعشّى سمكاً

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فبماذا يتعشّى السمّاك؟

الفدائي: وأنا رجلٌ متّهَمٌ ببرودةِ كفّيَ
وبالخوف المبهم فوق فراشِ التجربةِ الأولى...
وبأنّي أمشي في النومِ إلى هدفٍ مجهولْ...
وبأنّي أرسلتُ إلى نفسي عشرَ رسائلَ،
كي أتثبّتَ من عنواني

الكورس: عنوان العصر قتيل ما،
مشغول عن عاداتِ بطولتهِ
بعناد الطفلِ،
فلا يعنيه أن اسمهُ منسيٌّ بين الشهداءْ....

الفدائي: لهذا خجلتُ
تدبّرتُ وجهي أمامكِ يا امرأتي.
قلتُ كيف سأبدو غداً،
إن حملتُ إليكِ قتيلاً..
أغمضتُ عيوني،
وفغرتُ فمي:
ورأيتُني مقتولاً قدّامَ المرآة،
وصرت شهيداً، لا أجملَ مني.

الحبيبة: لا أجملَ منكَ حبيباً،
ساعةَ ذابَ الشمعُ وكان لنا مُتّسَعٌ في المشهدِ،
قبل ختامِ الفصلْ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الفدائي: يستأجرني العالمُ للقتلْ،
كلّ حبيبٍ أتبعه،
يشترط الموتَ،
ويعطيني رقماً،
ويؤشّر عند اسمي الساعةَ واليومَ الموعود
وان ابْتعثُ لليلةِ حبّي تذكرتينِ،
فكنّا اثنين،
أنا والقاتلُ في منتصف الثورةْ
(مطر... رؤوس شامخة... عيون حادة... جثث ملقاة على الطريق...)
الراوية: تشتعل القنابلُ الحرامُ، من شرارةٍ،
تُحدسُ في عيون الثائرينَ،
أمطرتْ..
أحسستُ أنّ الموتَ إنسانٌ بلا معنى...
وأنّ من رأيتُ مقتولاً على الطريقِ،
لم يَمُتْ..
وإنّما نام من الإعياءْ..
صوت المذياع: نداءْ
نداءْ
من جذر الأعداد المجهولةِ
للخبز اليابسِ والجبناءْ
الفدائي: أوحشتْ ساعتي.
أوحشتْ حلقةُ الحبّ في بنصري
الحبيبة: كنتَ بين الهزيمةِ والموت متّهماً.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الفدائي: واعتراني البكاءُ على سوء حظّي.
الكورس: فلماذا تتعجّبُ للقسوهْ..
تبكي للطير وأنتَ الأقسى..
الحبيبة: لو جاوزتَ حليبَ الأمّ،
وعانيتُ فطامي،
ما عاقَبتُكَ بالعودة قبل مغيبِ الشمسِ إلى
رحمي
ووصلتُ بسرّتكَ المقطوعة حبلي..
فإلى أين تسافرُ،
يا منفيّاً عن مقتله؟
الفدائي: أعددتُ حقائبَ للتطواف،
كويتُ قميصي للهجرةِ
كان القلقُ السرّيُّ يطاردني،
في ساحاتٍ يملأها الشحّاذونْ..
(ساحات عامة.. ونصب.. دكاكين.. أسواق)
الفدائي: طوّفتُ شوارع تحمل أسماءَ رجالٍ قُتلوا..
ورأيتُ الساحاتِ تماثيلَ، عليها، الورد،
فحكّتْني الغيرةُ في قلبي،
وسألتُ:
إذنْ أينَ مكاني؟
أنتصبُ الساعةَ فوقَ رخامةِ قبري؟
أتحوّلُ تمثالاً؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأموتُ، فلا يُستهزأَ بي؟

....

أخاف

(صورة يد تكتب .. صورة نفس اليد تضغط الزناد.. صورتها تقلب الجثث.. تحفر القبور)

الراوية: أخافُ من يدي.
فهي التي تجرّبُ الآنَ مذكّراتِ الحزنِ،
كانت طول هذا اليوم،
تضغطُ الزنادَ،
أو تقلّبُ القتلى،
وتحفرُ القبورَ للأصحابْ.

الفدائي: جوازاً إلى هربي،
لأني تعبتُ..

صوت المذياع: فمن خطِّ النار إلى خطِّ النار نداءْ
اللبنُ الأحمرُ للأمواتِ
وفاكهةُ الخيبةِ للأحياءْ.

الفدائي: لتلك التي ما تزالُ تجرّبني عند أسوارها برتقالاً،
وفي سورتي عوسجاً دونه الموتُ...
تلك التي ما اشترتْ لي لثاماً،
وغدّارةً في الطريقِ.
فإنّي تَسلّيتُ عنها بعدّ الحصى في عروقي
وظلّتْ تعذّبني...

الكورس: أما تسمعونَ الدماءَ تهاجرُ من تحت أقدامكم

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فتخوضُ بها عجلاتُ الدروعِ
وترسم منـها،
خرائطَ للنكسةِ المقبلةْ...
(مكبّرات الصوت.. صراخات مبهمة.. أفواه بشعة)
الراوية: لم أستطعْ أمس كتابةً
فطولَ الليلِ كنا نزرعُ الألغامْ.
تضاءل (إمْ دي)
وفي المساءِ أخذتْ مكبّرات الصوت،
تدعونا للاستسلامْ.
الفدائي: والأصحابُ انصرفوا.
وضعوا الصمتَ وكيلاً فوق مقاعدهم،
خلّوني مبتلاًّ بالأفكار وقالوا:
يا أبلهُ...
الكورس: إن البدعةَ أن تبحثَ عن موتكَ في الكلماتِ..
فما زلتَ تداجي لغةً لا تعرفُها،
وتدجّنُ نفسكَ في الثورةِ
كي تضمنَ في دائرةِ العصرِ،
وظيفةَ موتكْ..
صوت المذياع: صفرٌ في كلّ الأعداد يساوي صفراً
من أيلولَ إلى أيلولَ نداءْ
(صوت ساعة تدقّ...)
الفدائي: لقد أعلنتْ ساعةُ السجنِ في الوطنِ العربيّ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مراسيمَ دفْنِ الشهيدِ
الكورس: تعالوا نشيّعهُ قلقاً واعتذاراً
الفدائي: رمادٌ لوجْه الحضارةْ
إذا كان فيها الشهيد "يموت انتحارا"
فانتبهوا
(صوت وجوه حائرة متعبة.. حركة بطيئة...)
الراوية: أصبحَ كلُّ شيءٍ مشرفاً على ختامهِ..
مات كثير من رفاقنا
وشحّ عندنا الرصاصُ..
لا طعامَ.
والصمودُ الآن يستعير صوتاً راعباً وحاسماً.
الفدائي: سألمّ دمي،
وأقولُ له:
نحن الآنَ هنا غرباء،
كلانا لا دورَ له
فتعالَ نمثّلُ قدّامَ مقاعدَ فارغةٍ،
كلّ الأدوارِ الممنوعةِ باسم القانونْ..
صوت المذياع: من رجلٍ مقتولٍ لرجالٍ شجعانْ
حيّاكمْ
وصلتْ كلّ الصلبانْ
الفدائي: وأنا وحدي،
بملابسَ من قرنٍ لم يأتِ،
تناديني الأرضُ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأسمعُ خلفَ الباب خطى سيّدتي...

الحبيبة: إذا عدتَ من سفرٍ يا حبيبي
وألفيتني نمتُ عنكَ لطولِ انتظاري.
لا توقظني..
دعْ وعدكَ يلمسْ قمرَ الغربةِ في روحي،
واتركْ حبّةَ قمحٍ فوق سوارِ المرجانْ..

(هجوم... مخيّمات... دمار...)

الراوية: يقتحم المشاةُ فجأةً مخيّمَ النزهةِ..
دُمِّرَ المقرُّ..
والقتالُ الآنَ من بيتٍ إلى بيتٍ...
وفي انتظار المقبل المجهولْ..

الفدائي: تسلّلتُ في غفلةٍ عن عيونِ الجباةِ،
وقلتُ سأبني على جسدي المتبقّي عواصمَ للنازحينْ..
أرأيتِ إلى بيتي؟
وسمعتِ الأبواقَ تناديني..
إنّ الروح يجيش بصدري..
لكنّ الجسمَ ضعيفْ...

الكورس: جرسٌ للبابِ وآخرُ للأحبابِ

الفدائي: فلو يوقظُ هذا الجرسُ الموحشُ،
كلّ الأبطالِ المفصولين بغير إرادتهم...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أو يجمع من فشلوا في أدوار الحبّ
وأدوار الغيرةِ
والموتِ العمدِ
وسوء الفهم!!
لكن صار الصمت نداءْ
والموتُ نداءْ
والحرّاسُ على الأسوار رأوني أمشي في النومِ
فصاحوا بي:
أصوات: قفْ.. قفْ..
سرَّ الليلْ
قفْ سرّ الثورةْ
الفدائي: وقفتْ ساعاتُ العمرِ على كتفي،
وانتظرتْ
فرفعتُ يديَّ
وفتّشني الحرسُ الملكيُّ،
وفتّشني الحرسُ الثوريُّ،
وفتّشني في لغتي الموتُ،
فمن يعطي للثائر في ساعات الرعب هويّتهُ؟
من يمنحه الطاقةَ أن يختارَ إذا سألوهُ،
عن سرّ الثورةْ؟
(صوت قصف طائرات.. قتلى... وجوه هاربة...)
الراوية: الطائراتُ الآن تقصف القرى،
وتفتح النارَ على الأهلينَ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

والجنود في مخيّم النزهة.....
قيل لي أن أترك المكان "للوحداتِ"
والطريقُ...
الفدائي: تحرّضني...
وأنا ملصقٌ فوق موتي...
يتدلّى حتى الحافة كفّايَ
أكادُ أمسّ الماء وأمنعُ:
ممنوعٌ أن ينحرف القوسُ الخائفُ عن محوره...
أن أفتح عينيَّ وأنظر:
إن كنتِ تمرّينَ،
وعشراً قالوا: ما جئتِ، ولا سلّمتِ،
وسال الماءُ من العنْقِ إلى القدمينْ
النهرُ النازلُ من منبعهِ
جسداً صار لهذا الجيلْ...
والكلماتُ..
الكلماتُ..
اخضرّ المعدنُ بين المرفقِ والساعدِ
واكتنزتْ بدمي في الكفّين السبّابةُ
والوسطى
قولوا أيُّهما للقتل..
وأيُّهما للحبْ؟
لو كان الموتُ كما تصفونَ،
لأوصيتُ على موتي بقياسٍ أكبرَ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

واخترتُ نحاسي...
قلتُ له:
في المعدن متّسعٌ لاثنينِ،
فما خلاّني
ظلّ يمدّ إلى الحافةِ كفّينِ، هنيّينِ،
ويشبعُ موتاً
ظلّ يلاعبني، بين السبّابةِ
والوسطى.....

شباط 1972

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

ما بين جلدي وقلبي

- المساءُ..
المسا دائماً...
المساءُ الحدودُ
النساءُ الجنودُ
الخلاصُ
السماءُ
الرصاصُ
الندامةُ والحبُّ.
ها..
أيها القلقُ المتوحّشُ
ماذا تزيّنُ لي؟ امرأةً؟
يكذبُ الحبُّ...
كلُّ الحقائقِ صالحةٌ للشكوكِ
أنا يا حبيبي ؟
أجلْ . تكذبين على طول جسمك.
ما أنتِ مني سوى الشكَ، يتبعني . حيثما كنت .
تظلمني.
ما ترى كيف ندّتْ منابتُ شعري لصوتك،
وابتدأت كبريائي تغادرني، كلمةً كلمةً فيك.
صمتاً.
هو الشكّ يوجعُ.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يوجع في صوتها الغجريّ التباسُ الخديعةِ بالصدقِ.
ماذا ؟ أصدّق أم لا ؟ أنا .. عبثاً.
والذي كان؟
ماذا ؟
رغيف غمسناهُ في الماء ثم انتهى الأمرُ
ما أسهل الكلماتِ. نسيت إذن؟
أنا ذكرياتي لها سَورةٌ في العظام،
إذا قلت اسكنها، أحمرّ قلبي،
وإن قلت أحملها، التبست شعرةٌ في العجينِ.
وإذ كنت تطعمني عسلاً، يا حبيبي،
وتأخذ من هودجي في المسا، وتمشّطني..؟
-ألمسا دائماً..
المساءُ الذي لم يجيءْ.
والمساءُ الذي يبتدىءْ..
المساءُ،
البكاءُ،
الندامةُ والكبرياءُ،
- وأذكرُ:
كنتَ تمازجني،
والبداوة تملأني لبناً...
فكأن جنيناً يُراضعُ تَوأمهُ.
لستَ تذكرُ؟
- أذكرُ:
كان الندى بارداً
وعلى شعرها، قشّةٌ تبعث الريبَ والحبَّ،
سرْنا معاً، مُهملينِ، بلا ذكرياتٍ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ولا أمنياتٍ، وقلتُ لها:
-ما تعبتِ ؟
- بلى.
وبقينا نسيرُ،
المَسا يتسرّب من بين أقدامنا،
والرصيف يمرّ بنا خاوياً،
وسياج الحديقة يمشي على الجهة الثانيهْ:
- اسمعي.
- ها...
- إذا شئتِ، سرنا إلى آخر الدربِ
- لا بأسَ.
- أو شئتِ، نرجعُ.
- نرجعُ.
إذّاك أيقنتُ أنكِ أحببتني، فانتشيتُ.
وصار لنا قبّراتٌ رمادية السرّ.
- كنّا حفاةً
تُنغّزنا في يدينا المناقيرُ:
- ها ما تعبتِ؟
- بلى يا حبيبي
وفي جوربيَّ خبأتُ أصابع تلميذةٍ.
كنتُ أصغرُ فيك،
وأصغرُ، حتى يراهقَ فيَّ الحنينُ
فألعب بالخرز البرتقاليِّ
والقبّراتِ:
- انتظرْني...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- انتظرتك في الثكناتِ
انتظرتك في الطرقاتِ
انتظرتك عند الحدودِ، وما جئتِ
- عوّقني الحبُّ، والحرسُ الطيّبونَ،
يسيرون في نومهم، يحملونَ
الأهلّةَ والخبزَ، والخوفَ من لحظة الموتِ
إذّاكَ أيقنتُ أنكَ أحببتَني،
وسمعتُك تهمسُ لي:
- هل تريدينَ؟
- ماذا؟
- أعلّمكِ الموتَ؟
- وا عجباً! هل يموت المحبّونَ؟
- تأخذهم رعدة في أساورهم.
وتصير أصابعهم كلماتٍ،
وإذ يوشك الحبّ فيهم:
يموتونَ
- ماذا تقولُ؟
أحسّ على جسدي حشرجاتٍ،
كأني موشكةٌ.
- فتخافينَ..
يأتيك تحت أظافرك الخوف. ما؟.
- لستُ أدري.
خفيفاً.. أجلْ : ها هنا..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أينَ؟
- تحت الأظافرِ..
ما بين جلدي وقلبي..
- إذنْ. فافسحي،
أتبيّنْ مكانَ احتضاركِ فيَّ،
فلم أقتلِ امرأةً قبلُ،
- لا يا حبيبي.
- لماذا؟
- آلمسا لم يجيء بعدُ.
- هذا المساءُ
المسا دائماً
المساءُ المراثي
مساء البكا والنساءِ
يزيد على وجعي شعرةً في دمائي..
- حسبتك تفهمني.
ونظرتُ إليكَ:
اللهاثُ يغطّيك والكلماتُ.
وقلتُ:
- كفى. فلْنعُدْ.
- كيف؟
- لابد لي أن أعودَ.
تأخّرتُ.
- لا. لحظةً.
- أبداً.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- لحظةً.. لحظةً!

جرّبي النصلَ. لو تعلمينَ..

تجيء الدموع من القدمينِ

ويبرد جسمكِ..

ثمّ تموتينَ كالعشب في الماءِ

- لا. قلتُ: لا.

فصرختَ:

- أُحبّكِ

كان اللعابُ يُبلّل صوتكَ.

- وَيْ للأكاذيبِ

كلّ الحقائق كاذبةٌ

النساءُ.. المساءُ.. الدماءُ

الحدودُ.. السماءُ.. الجنودُ

الرصاصُ.. الخلاصُ.. الندامةُ والحبُّ..

- ماذا تبقّى إذنْ؟

- ذكرياتٌ تُندّمني.

أيها الأسفُ الهمجيُّ. علامَ تُلاحقني؟

أعلى طيبتي اتّهمتني الحبيبةُ

واقتادني الجندُ:

- ما اسمكَ؟

- ....

- عمركَ؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- ....
- شغلك؟
- ....
- سكناكَ؟

ينبضُ قلبي من الحبّ والخوفِ:

- نادوا على شاهدٍ
- ها أنا يا حبيبةُ، فلتشهدي..
- أيها الكاتب العدل هذا حبيبي..
- خذوهُ!

حملتُ الشكوكَ على جسدي،
ودخلتُ الشكوكَ على جسدي،
ودخلتُ إلى السجن، يوجعني الشكُّ،
توجعني التهَمُ الكاذباتُ
ويوجعُ في صوتها الغجريّ التباسُ الخديعةِ بالصدقِ:

- يا حارسَ البابِ قد أخذوا سيّدي..
- أينَ؟.
- يا صاحب السجن قد سجنوهُ...
- لماذا؟
- لأن الذين يحبّون لا يملكون دليلاً على حبّهم،
- غير أن يُسجنوا.. أو يموتوا..
- اسمعي

-عبثاً. تكذبين على طول دربكِ،
بين المدينة والسجنِ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ما أنت مني، سوى الشكّ، يتبعني،
أينما سرتُ.
فلتتركيني..
- وتغفرُ؟
- أغفر!
- تنسى؟
- أنا ذكرياتي لها سورة في العظامِ،
إذا قلت أسكنها، اسودّ قلبي،
وإن قلت أهجرها، التبستْ شعرةٌ في العجينِ...
- ألستَ ترى؟
- قمر من دمٍ ما يزال يراقبنا،
القمرُ الصعبُ فوقَ المدينةِ..
يا امرأة الحبّ يكذبُ سجني عليك
فمن خلف سورٍ تكون الحقائق خائنةً،
والسجين يعذّبه الحبُّ والذكرياتُ
- أتذكرُ؟
- أذكرُ:
كنتِ موشّحةً بالرماد النسائيّ
تتّكئين على صاحب السجنِ،
أوّاهُ من غيرتي فيكِ،
من قلقي حين قلتِ:
- لقد أخذوا سيّدي!
- أينَ؟
- واستجوبوهُ
- لماذا؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- وعذّبهُ الحرسُ الملكيُّ فلم يُدلِ باسمي،
- تعالي.
- أنا أيها الحارس الملكيُّ؟
- أجلْ.
فإلى أينَ؟
عيناكَ مالحتانِ..
وصوتكَ ملتبسُ.
- لا عليكِ. تعالي،
أريكِ الحبيبَ الذي تطلبينَ
على السور مستوحشاً كالمصابيح في آخر الليلِ،
منفرداً بهمومِ المحبّينَ،
تسقط فوق مخاوفهِ القبراتُ،
وفي شعره قمرٌ أحمرُ الخصلاتِ
- انتبهْ أيها الرجلُ المستريبُ
فهذي الحبيبةُ، جائتك بالزاد والملحِ..
- أنّي أحبّكَ..
- ما أسهلَ الكلماتِ!
- أموتُ عليكَ..
- تأخّرتِ. وا أسفاهُ.
فماذا تفيد المحبّة في ساعةِ الموتِ؟
- لو..
- عبثاً،
- لحظةً،

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

- أبداً،
- لحظةً لحظةً.. يا حبيبي،
امتلاكْ مقتلَ امرأةٍ،
ستحبّك إن أنت علّمتها الموتَ....
- لم أقتلِ امرأةً قبلُ،
فلترجعي،
- ما حرامٌ عليكَ،
أنا طيبتي قتلتْني.
نزلتُ من الجرحِ. كنتِ أمامي عراقيةً
نكهةُ البحرِ والأمّ تَصعد من نسغك العربيّ،
ومن تعبي كان ينزف زيت وخلّ وماءٌ:
- أخائفةٌ أنتِ؟
- لا
- سنسير إلى آخر الدربِ.
- لا بأسَ.
- أو.. فاسمعي
إذا شئتِ، يمكن أن نهربَ الآنَ...
- واخجلتاهُ. أتهربُ؟
- يحتمل الحبّ حتى الهزيمةَ،
- لكنني جئتُ أشهدُ ساعةَ موتكَ.
- خائنةٌ!
- لا وحقّكَ. أخشى عليك الهزيمةَ،
والجند إذ يسألون عن اسمك
ماذا تقولُ؟
- سأكذبُ.
- تنكرني؟

منشورات «ألف ياء» «AlifYaa»

- لا.
- إذنْ. فَلتَشي للمحقَقِ باسمي وتفضحني؟
أيّها القلق الهمجيٌّ علامَ تعذَبني؟
إنني نقطة بين جسمِ الحبيبةِ والموتِ،
أبحث عن ميتةٍ لا تورّطني بالشكوكِ.
قد اضطربَ البعدُ بيني وبين الحقيقةِ..
بيني وبين الخديعةِ..
وازرقَ قلب المسا..
- المسا دائماً...
المساءُ السجينُ
المساءُ الطويلُ
المساءُ الحزينُ
المساءُ القتيلُ المساءُ..
الدماءُ الجنودُ
النساءُ الحدودْ
الهزيمةَ:
ما بين ما أتمنَى...
وما بين ما كان. ظلّت قيودي تراقبني:
- يا حبيبي.
- أجلْ.
- سنسير إلى آخر الدربِ ماذا تقولُ؟
- ......
- إذنْ. فاعترفْ!
- ويْ لصوتكِ. ماذا تقولينَ؟
هذا الذي ما فتئتَ تردّده في ضميركَ.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- قل للمحقّق أنكَ أحببْتَني.
- لستِ صادقةً
- كيف يصدق قلبي وأكذب من شفتيَّ؟
- حرامٌ عليكِ.

أتمتحنينَ حرارةَ روحي؟

- حبيبي،
- إذنْ. فافسحي.

أتبيّنْ مكانَ الحقيقةِ فيكِ،

فلم أعرف امرأةً قبلُ.

- ها أنَذي.
- وهي تفّاحةٌ. نصفها لي،

ونصفٌ لأجلكَ والآنَ،

أخفِ يديكَ، فإنّ الخفيرَ يراقبنا.

- لا تخافي.
- انتبهْ
- لا عليكَ. تعالي.
- حنانيكَ. أسمعُ وقعَ خطىً خلفنا!
- قرّبي..
- إنّهم قادمون. ابتعدْ.
- أوشك الحبُّ..
- لا

الذين يسيرون في نومهم عبروا قربنا...
ثمّ جازوا الخيامَ،

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

على يدهم، ورقُ الدفنِ، والخبزُ،
والخوفُ من لحظة الموتِ..

- هل عبروا؟

آهِ كم خفتُ!

- إنّ المخاوفَ خبزُ المحبّينَ،

هل تعلمينَ؟

لقد أخذوا جسدي معهم.

- كذباً. أنت تكذبُ

- كلّ الأكاذيب ممكنةٌ حين ينتصف الليلُ...

كلّ الحقائق.

- فيمَ تعذّبني؟

ما ترى حبّةَ القمحِ تنهضُ بي؟

- عبثاً. أخذتني قوافلهم.

يتعب الميّتون إذا جرّبوا الحبَّ.

- لا. لم تمتْ..

خذْ يدي.

ستسير الحرارةُ من بنصري فيكَ.

إذّاكَ سوف ترى،

أيّ شوقٍ تكابده امرأةً،

يسكن الحبُّ بين مفاصلها..

- عبثاً.

- بل ستنبتُ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- وا أسفاه. تأخرّتِ ثانيةً.
- لا. أنا عند لحظةِ حبّكَ،

سيّدةٌ.. ما ترى أيّ قبرٍ يناديكَ في جسدي؟!

- أحضروا كفناً

للعريس الذي سيموت!

أيار- حزيران- 1973

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa

سيدة التفاحات الأربع

إذا انتصف الليلُ.. واسودَّ-
ليلٌ بلا قمرٍ، أو نجومٍ،
وصارَ الندى مُبْهماً في الحديقةِ...
سيِّدتي،
ستجيء كعادتها،
ستعبر هذا الممَرَّ الكئيبَ،
وتمشي على العشب حافيةً،
لحظةً،
وأرى وجهها، ملصقاً، في زجاجة نافذتي،
من هنا،
حيث ينكسر الضوءُ والوهمُ:
عينانِ ذاهلتانِ،
وشعْرٌ من الأَبَنُوس، قد اخضرّ من بلَلِ الليلِ،
والتمعتْ خصلةٌ منه،
فوق الجبينِ،
ومن دونما كلمةٍ،
وبصمْت المحبّين،
سوف تمدّ أصابعَها
وتشير إلى بُنْصرٍ، نزعوا خاتمَ الحبّ عنهُ،
فموضعه، أبيضٌ، مثل جرحٍ قديمٍ،
وتبسم لي...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

هكذا.. لمحةً
وتغيبُ،
وتترك فوقَ ضباب الزجاجةِ،
هذا الحنينَ الغريبَ-
حنينٌ غريبٌ..
أنا.. يشبه القبُلاتِ حنيني..
سأبحثُ عن شعْرةٍ علقتْ، في الوسادةِ
قنّينةِ عطرٍ.. علاها الغبارُ،
قميصٍ به عرَقُ امرأةٍ...
أهذا، إذن، كلّ ما يتبقّى من الحبّ؟

آذار 1976

ورأينا التفّاحاتِ الأربعَ تسقطُ،
فوق الأرضْ
أربعُ تفّاحات حملٍ
أربعُ ضحكاتٍ
وانقطعَ الصوتُ
وسادَ الصمتْ
....
أصغوا..
سيّدة التفّاحات الأربع
تضحك بعدَ الموتْ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

21

آذار 1976

فاستيقظت سيّدةٌ مترعهْ

بلذّة الرغبة والقدّاحْ

في الساعة الخامسهْ

الشمسُ عند المغيبْ

ونسمةٌ باردهْ

وعن يمين جثّةٌ هامدهْ..

23 آذار 1976

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

اغتصاب

في سكونِ العراءْ
كانت امرأةٌ تُغْتَصبْ...
لحظةٌ
لحظةٌ
لحظتانْ...
لمعتْ في الترابْ
قطرةٌ من دمِ الاغتصابْ
قطرةٌ
قطرةٌ
قطرتان.
وحين انتهى الموتُ من سرِّهِ،
وجاء المساءْ.
تناهتْ من الجسَدِ المغتصَبْ
نحلةٌ من بكاءْ

21 آذار **1976**

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

قرنفلة سوداء

نائمة بين ذراعيَّ،
ومستيقظةٌ فيَّ،
وفي شفتيَّ،
يصير الحبّ قرنفلةً سوداءْ
ممنوعٌ عنها الماءْ..
....
* * *

عاريةٌ فوق فراشي...
دافئةَ الشفتينْ...
يا سيّدتي..
إنّي أحببتكِ عاريةً..
أجمل عريكِ في القدمينْ.

31 آذار 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أريدكِ..
إني أردتكِ،
سوف أريدكِ..
هذا دمي..
رجلٌ غجَريٌّ،
له غيرةٌ في نواجذِهِ،
وحصانٌ بلوْن الزمُرُّدِ،
عيناه زيتيَتانِ،
وعرفُهُ، منتصِبٌ
كالصهيلْ

أريدكِ
إنّ الربيع له ليلةٌ،
إذا طلعَ القمرُ المرُّ،
وابتدأتْ لحظةُ الدفْنِ،
نبتدئ الحبَ
ابتدأْنا
نما العشبُ فينا،
وصار لنا في أصابعنا وردة للعناقِ،
وآنية للعويلْ
....
أجيء مع الليلِ،
ممتلئاً بالخرافاتِ...
محتدمَ اللحظاتِ..
وحينَ أراكِ مرفَّهةً في سريركِ،
أفتح روحي،
وأترك منها،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

شريطاً   على   خشبِ   الأبنُوسِ
الجميلْ
.....
ركعتُ...
تنهّدْتِ
شعْركِ تحت جبيني..
جبينك تحت فمِي،
الليلُ
والرجلُ الغجريُّ،
يراقبنا من بعيدٍ
ويتبعنا في النعاس الطويلْ.
......
قد ابتدأ العشبُ يحترقُ الآنَ..
والأرض تنبضُ...
أرفع شعْرك من نومِهِ،
وأروح أمشّطهُ..
.. يتساقط منه نعاسٌ على راحتي،
ويفوحُ شذى الطلْعِ..
يقترب الرجلُ الغجريُّ
يمدُّ يديه..
ويبتدئ القلقُ المستحيلْ..

1 نيسان 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

حلم ..

حين رأيتكِ في حلمي
كان على كتْفِكِ،
طفلٌ..
يبكي..
قلتِ: احملْ طفلَكَ عني..
فحملتُه..
كان جميلاً..
شعره أبيضُ كالثلجِ،
وعيناه مُغمّضتانِ..
وحين أخذتُه،
صار يَمصُّ أصابعهُ..
إذّاكَ.. نظرتُ إليكِ
رأيتكِ تمضينَ على عجَلٍ..
وتذكّرْتُ بأنَكِ ميّتةٌ..
فأفقتُ..
الليلُ عميقٌ..
وعلى كتفي
طفلٌ
يبكي..

2 نيسان 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الجثة.. والسيدة.. والحقيبة اليدوية....

بعدما سكنَ الموتُ في جسد السيّدةْ
وألقى بها في البريّةْ...
جثّةً هامدةْ
رأيتُ القتيلةَ،
تنهضُ من جسمها..
تسوّي ملابسَها..
تتلفّتُ... باحثةً
عن حقيبتها اليدويّة...
فإن وجدتْها..
رنتْ باكتئابٍ،
إلى الجثّة الميْتةْ
وسالت على خدّها دمعةٌ صامتةْ.
لحظةً،
ومضتْ في الطريق الذي امتدَّ،
صوبَ الحدودْ...
مشتْ ساعتين..
وحلّ الظلامْ..
ولمّا تزلْ
تغذُّ الخطى في البريّةْ
ترافقها في الطريقِ،
حقيبتُها اليدويّةْ
وتمشي وراءَهما،
قطّةٌ من ظلامْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وفي الليلِ،
صار الطريقُ،
يمرّ على جبلٍ،
مثقلٍ بالنجومِ،
وعطْرِ الصنوبرْ...
... عند منتصفِ الليل،
صار جبينُ الحبيبةِ أخضرْ
تَعِبَتْ
إنّها تجلسُ الآنَ،
تخلع عن قدميها الحذاءْ
وتصبح عاريةً للسماءْ..
...... مواءْ.
* * *

في الهزيع الأخيرْ..
مرّ لصّ الجبالِ،
بسيّدةٍ نائمةْ..
إلى جنْبها قطّةٌ جاثمةْ
وفي يدها ما تزالُ،
حقيبتها اليدويّةْ
تأمّلها برهةً..
ثمّ سارَ..
إلى موضعٍ في البلاد القصيّةْ
* * *
حينما أقبل الفجرُ
ألقى على جسد السيّدةْ
نظرةً باردةْ....
فلم يَكُ ما بينها
والحدود،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سوى
نجمةٍ
واحدهْ

4 نيسان 1976

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

زيارة

... جرسُ البابِ، يُقرعُ..
ينهض من نومِهِ..
يتطلَّعُ من فتحةٍ في الستارةِ،
يرجعُ مرتبكاً..
يتردّدُ
ينظرُ ثانيةً..
يتفرّسُ،
يجلس فوقَ الأريكةِ،
يسمع صوتَ خطىً في ممرِّ الحديقةِ
ينهضُ مرْتبِكاً...
طرقتان على البابِ،
ثالثة..
يفتح البابَ
.....
.....
يضحك من نفسهِ..
يغلق الباب ثانيةً..
ثمّ يجلس فوق الأريكةْ..

6 نيسان 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

قصة ...

في شبّاك قطار الليلْ...
يبدو شبحانْ..
رجلٌ وامرأةٌ يعتنقانْ..
في الشبّاك التالي
رجلٌ يجلس منفرداً
في صمتٍ حجَريْ
رجلٌ غجريْ!!
* * *
في المطعمْ..
رجلٌ وامرأةٌ،
يقتسمان التفّاحةَ قسمينْ
ويصبّان الخمرةَ في كأسينْ
في المائدة الأخرى...
جلس الرجلُ الغجريْ...
قسم التفّاحةَ قسمينِ
وصبَّ الخَمرةَ في كأسينْ
* * *
في شبّاك الفندقْ
يبدو شبحانْ..
رجلٌ غجريٌّ وامرأةٌ يعتنقانْ
في الشبّاك التالي
رجلٌ يجلس منفرداً،
في صمتٍ محزونْ.. رجلٌ مجنونْ!!

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

7 نيسان 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بغتة ...

يدها في يدي..
شعْرها فوق كتفي
الطريقُ يمرُّ بنا..
مسرعاً..
مسرعا..

* * *

يدها في يدي..
رأسها فوق صدري..
أقبّلها..
وأصابعها..
تتلّمسني.. إصْبَعاً
إصبعا..

* * *

ما نزال معا..
ما يزال الطريقُ،
يمرُّ بنا مسرعا..

* * *

بغتةً
يتوقّف وحشُ الطريقِ عن العَدْوِ
لا شيءَ غير سفينتنا المفزعهْ
تدور على نفسها

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وندور معا

* * *

لحظةً...

.....

شعرها...

رأسها...

جسمها...

يدها...

أصابعها في التراب

تودّعني

إصبعاً...

إصبعا...

12 نيسان 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الجثة

الليلةَ...
في الأحلامْ..
مرّ على وجهي صوتُ تنفّسِها،
فأفقتُ....
رأيتُ الجثّةَ،
فوق سريري،
نائمةً..
قمتُ،
وأشعلتُ الضوءَ،
ففَتَّحَتِ الجثّةُ عينيها...
سألتْني،
إنْ كان الليلُ على أوّلِهِ..
قلتُ: أجلْ...
قالت: ما تأتي لننامْ؟!

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

قبلة

نقطةٌ من دمِ الذاكرةْ
لَمَعتْ في الضميرْ
رَسَمتْ دائرةْ
حول طفلٍ صغيرْ
يُلاحقُ في نومِهِ،
نحلةً ماكرةْ
......
ضحكَ الطفلُ..
مَدَّ أصابعَهُ،
اختلجتْ نحلةُ النومِ في الشبكةْ
ضحكَ الطفل ثانيةً...
أمسكَ النحلةَ الحائرةْ..
لسعَتْهُ.... بكى .....
فتهدَّمتِ الدائرةْ..

12 نيسان 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فاكهة المرأة النائمة..

كانت المرأةُ النائمةْ،
وهي في قبرها...
تتسمّعُ أصواتهم،
وتغالبُ ضحكتها
....
حين صبّوا على القبرِ،
ماءَ الوداع الأخيرْ
فكّرتْ:
لعبة الموتِ مُضْحكةٌ...
وراحتْ تقارنُ، بين تابوتها،
والسريرْ.
... ...
لم تعدْ تسمعُ الآنَ صوتاً
لقد ذهبوا كلّهمْ...
فليكنْ
وأحسّتْ نعاساً من الحزنِ،
يملأ تابوتَها
وشيئاً من الجوعِ..
مدّتْ أصابعها، إلى باقةِ الورْدِ،
قربَ مخدّتها..
أكلتْ وردتينِ
... ونامتْ...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

13 نيسان 1976

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الرجل ذو الرباط الأسود

رجلٌ..
برباطٍ أسودْ
يجلسُ في حفلةِ عُرْسٍ منفردا
لم يعرفْهُ أحدٌ بين المدعوّينَ،
ولم يعرفْ أحدا...
حين ابتدأ العرسُ ..
رأينا امرأة حسناءُ
بثيابٍ بيضاءْ...
ورأينا رجلينِ ،
يسيران إليها،
بثيابٍ سودْ
ورباطٍ أسودْ...

13 نيسان 1976

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

موت المنزل ...

ومن بعد موتي ...
نظرتُ إلى جسدي ...
وبكيتُ ..
أرى جثة امرأة،
رافقتني ثلاثين عاماً..
أرى منزلاً عشتُ فيهِ
يموتُ،
وما زال مني به ،
دميةٌ للطفولةِ ،
ثوبُ مراهقة ،
قطةٌ ..
وردةٌ في كتابٍ ..
... رسائل حبٍّ مخبأةٌ ...
بعد موتي ..
تطلّعتُ في جثّتي .. وحزنتُ ،
رأيتُ على شفتي كِلْمةً ،
لم تتمَّ ...
انحنيت ..
مددتُ يدي ..
ومسحتُ على شفتي ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ومضيتُ .....

قميص نومها ،
ملقىً على السريرْ ...
كتابُها
منضدةُ الزينةِ ،
مشطُها ..
المرأةُ ..
والمفتاحُ ما يزال ،
فوق البابْ ..!
يفصل بين عالم الحضورْ
وعالم الغيابْ ..

19 نيسان 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

نعاس..

يكون السريرُ
قريباً من النافذةْ
أكونُ أنا .. هاهنا ..
أنتِ نائمةٌ عن يميني ...
أقومُ إلى الضوءِ ..
أطفئُهُ ..
تصبحينُ على خيرْ
تصبحْ ..
على خيرْ
.. يمشي السكونُ إلى النافذةْ ..
.....
.....
تمرُّ الدقائقُ ..
أسمعُ صوتَ أصابعها ،
تتعثّرُ فوق الوسادة
أدركُ أنّ الحبيبةَ لم تَغْفُ بَعْدُ ..
جائعةٌ ؟
لا ...
خائفةٌ
أبداً .. أعْطِني يدكَ الآنَ ..
تأخذُ مني ذراعي إلى صدرها

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وتصنع منه رضيعاً ...

...

أنا ها هنا ..

وهي نائمة عن يميني

يفوحُ شذى حلمةٍ

ما تزال مبلَّلَّة بالحليبْ

ويأتي الينا من النافذةْ

نعاسٌ عجيب

5 أيار 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

القبلة الأخيرة ..

حين قبَّلْتُها ،
فتحت شفتيها على لهفتي ..
واعترتْني
فجاء العناقْ .
هكذا :
صعدت نبرة من مكان محبتها ،
وصار لها طائرانِ .
وحبّةُ قمحٍ ...
عناق ...
دمٌ ...
شفتانِ ...
شَممْنا دماً ...
فرّت القبُلاتُ إلى بيتها ...
ونظرْنا إلى بعضنا .....
همستْ :
ألستَ ترى .. يا حبيبي
لقد ذبحوا طائرا الفراقْ

5 أيار 1976

«AlfYaa منشورات «ألف ياء»

زيارة ... (2)

جرسُ الباب يقرعُ ..
يفتحهُ :
مرحباً
تمرّ التحيَّة بين أصابعهِ ،
فيردّد في قلقٍ :
مرحباً ..
تتبسّمُ زائرةُ الليل في إلفةٍ وتقولُ له، وهي تومئُ:
موجودةٌ؟
يتردّد:
طبعاً
تلوح له جثّة امرأةٍ في العراءِ
ويسمع صوتَ بكاءٍ
إذا كان يمكنُ ..
يمكنُ... فلتدخلي...
سوف أوقظها..
أبداً.. خلّها..
لحظةً واحدهْ..
يرتقي مسرعاً سُلَّمَ البيتِ
يدخل غرفةِ النوْمَ...
يتوقّف قربَ السريرِ... رويداً...
ثمّ يرجع أدراجَهُ
يجدُ الباب منفرجاً

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

والحديقة فارغة...
إيه أيّتها الزائرة

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لماذا ؟

عادةً..

أنتِ تستيقظينَ مُبكِّرةً

وحين تقومين عاريةً من فراشكِ ،

أحدس في حلمي : أنه الفجرُ،

أفتح عينيَّ

تأتي إلى يقظتي نكهة الماءِ

والبللِ الأنثويّ الجميلْ ...

•

وأنتِ تعودين قلبي إلى البيتِ

أدركُ أنّكِ عُدْتِ :

النوافذ مُشرعةٌ

والحديقة مسقيّةٌ

والزهور على المائدةْ...

•

وكنّا ننامُ سويَهْ

مرّةً : نِمْتِ قبلي ...

......

لماذا ؟

8 أيار 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

خلاني نائمة

فوق يميني،
خلاني نائمةً
واستيقظَ،
مشّطني في حلمي
فغدوتُ على يده ،
إمرأةً عاشقةً

وحلمتُ كأنّي،
أكوي قمصانَ حبيبي ،
وأعدُ حقائبه للسفرِ الممنوعِ
وأبكي،
لا ناحَ غرابٌ ،
أو خفقتْ قُبَّرةُ العشِّ ...
حبيبي. قُمِ نستشرِ الساعةَ ..
إن الساعةَ سيّئةُ القصْدِ،
فإنْ دقَتْ عشراً،
يتبقَّ من الليلِ ثمانٍ...
ودمٌ سيسيلُ على زغبِ
العينينِ،
ويفسد لي حلمي...

فوق يميني
خلاني نائمة ..

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

ومضى...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مريم ...

أعطيكَ اسماً،
وأحبّكَ فيه ،
فقولي رقماً ، يصلح للحبَ،
وللكلمات الأطيب قلباً...
والسر المتردد بين اثنين..
لا تأتمني أحداً للشفتينِ،
أنا من شفتيَّ أباعُ،
وبالأسرار نصير حبيبينِ:
هلو ..
من تطلبُ؟
مريمَ..
أخطأتَ.. هنا دائرةُ الحجزِ
رجاءً مريمَ ..!
هذي مطبعةُ التحريرِ ...
...خياطةُ حوّاءَ
... كنيسة أمّ الأحزانِ
هلو ...
....مريمَ
....مريمَ
....مريمَ
سدّ التليفونْ..

منشورات «ألف ياء» «AlYaa»

أحبّكِ..

هذا السرّ له ندمٌ،

يتقاطعُ في الأسلاكِ

فأخجلُ

من تطلبُ..

مريمَ

أخطأت حبيبي

مريم نائمةٌ من فرط الحبْ..

1972

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

حبة قمح ...

تكونين جارتنا،
حلماً،
وأصونُكِ
من يوقظُ امرأةً خلف شبّاكها؟
فالمسافةُ، لمّت ملابسها ،
وقالت : أروحُ؟
.... حزينٌ لأنّي سكتُّ ...
لأنك أطرقت ...
أنت تحب العصافير؟
لا...
سكنتْنا الحديقةُ في صمتها..
تركتْ مقعدينِ من الظلِّ...
.... كانت حقيبتها بيننا،
قطّةٌ، شعرها أسودٌ..
قلتُ : من ذا يعلمها الصمتَ بين حبيبينِ؟
ها؟
كبرياءٌ لعينيك ، حين أحبك ..
حين تريدين. مبهمةً ...
والمسافةُ تعرى،
وتأخذ بي ، من يدي،
نقطة فوق سرّتها .. وأدافعُ ..
ما أنتِ جارتنا،
والحديقة فارغة

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

...... سقطتْ قطرةٌ فوق شعركِ.
ها؟ ما نقومُ؟
بلى...
وسكتْنا ...
......
......
تكونين مبهمةً،
بين عينيك، والصمتِ،
حبّةُ قمْح...
تُرى أيّناً يتكبّر فيه الفضولُ،
ويسلبه، كلّ ألفاظِهِ؟
يا حبيبة : إنّ الكلامَ فضيحتنا ..
......
..... وحزين لأني سكت ..
حزينٌ لأن يدي سكنتْ فوق قطّتها
ما تريدينَ؟
ها؟
قطرتان من الصمتِ.
ماتت حقيبتها في يدي..
...... وحزينٌ لأني تكلّمتُ ..
كلّ الأصابع كاذبةٌ ..
فأيُّ التعابير يصلحُ للحبِّ..
لو...
مرةً واحدهْ.
وليكنْ حلماً :
أنْ تصيرَ الحروف
أصابعنا..
أتنتظرين ؟ تعود العصافيرُ ؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لستُ أحبّ العصافيرَ
تأتي الظهيرةُ؟
إنّ الظهيرة كذّابةٌ ..!
كم الساعةُ الآنَ ؟
عشرهْ ..
..... وكنّا نفتّش عن قشّةٍ ما...

حزيران 1972

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

التباسات غرامية

بندى شفتيكِ، احتملي ضعفي،
واحتمليني،
فأنا لا أُتْعَبُ في الحبِّ،
و لا أتعَبُ ..
لكن .. محكومٌ،
تتبعه سنواتُ العمر إلى عينيكِ
وثانية، يولدُ أو يُقتلُ فيكِ
ويُعطي اسماً سرّياً،
فيميزه المخبرُ والعاشقُ....
قد وجد العمر مزاجاً للعب معي.
فأختاركِ ثالثة،
حتى أودعني السجنَ
وزيّن لي ، أنْ أحفر فوق جدار الزنزانةِ
حرفينِ...
فللحب
وللحرب
وماذا أحكي ؟
أخجل أن أتندّم عنك ، أو عند اسمي ...
أخجل أن أبكي...
فالدمعُ يراقبني فيَّ..
فلو كنتِ معي،
عامَ كذا،
في الموضع نفسِه،
حيث أراكِ الآنَ تديرين السُّكَّرَ،
في القدَحِ الوردي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أو كنتِ معي،
عامَ كذا ،
في الموضع نفسِه،
حيثُ انتظرتْني،
ومضتْ غاضبةً مني...
وأنا وحياتِكِ، لا أتْعِبُ في الحبِّ،
ولا أتعَبُ..
لكنْ .. محكومٌ
أنْ أتذكّر ..
ما أنصفني النسيانُ
وقلت حبيبة قلبي ..
أُشفق أن أسجن ثانيةً
أُشفق من ندمٍ يلعبُ بي ،
فأُكابرُ..
والوقت صباحٌ،
وأخافُ ، لأن الساحة فارغةٌ،
ولأنكِ أخلفتِ الميعادَ،
وخلّفتِ عيوَن الناس تراقبني
خلّفت
عيونَ
الناس
تراقبني

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تعب في النوافذ

إلى إبراهيم زاير [1]

شعرةٌ بين موتكَ،
والحبِّ،
والخبَرِ الصحفيّ..
أكون أنا،
والزمانُ العجينْ...
أصدّق أم لا؟
فعيون الذين يجبّون واسعةٌ..
وبخوفي احتميتُ لديك،
من النبرة الصحفيّةْ...
وكانت مُصَدَّقةً كلّ أخبارنا
وكانت مكذّبةً...
مثلنا...
فكأنكَ تقرأ نعيكَ منتحراً..
وتدفعُ، خمسين فلساً،
لكوبٍ من الماء،
والصمتِ
والقهوة العربيّةْ
......
وتمضي..
تلاحق بالرغم منك العيونَ التي لا تصدّق موتكَ..

---

(1) هو صديق الشاعر، مناضل كان من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي خابت آمالهُ الوطنية فرحل إلى لبنان وانخرط مع الفدائيين، لكنه مُني بخيبة جديدة فانتحر برصاصة من مسدسه (هذا ما رواه الشاعر عن صديقه إبراهيم زاير قبل وفاتهِ بأشهر).

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

أو تتشاغلُ عنكَ...
علامَ ابتسمتَ لنا،
وانتحرتَ..
تركتَ الذين يخافون أفكارهم،
يلمسون رقابهمو.. ريبةً..
فإذا أيقنوا أنهم لستَ أنتَ
تعشّوا.. وناموا...

....
وفي حلمي؟؟
كنتُ في غرفة ما.. من الوطن الدائري..
وكنتَ تناقشني.. عند حافةِ حزنكَ..
أذكر: ....
أنّي سألتكَ:
-أنّى وضعتَ سلاحكَ بعد انتحاركَ؟
ماذا كتبتَ؟
وماذا احتقرتَ؟
وهل كنتَ مرتبكاً مثلنا،
حين نقرأ، في المهرجانات أشعارنا؟
وفي حلمي..
كنت أرقب وجهك ينزفُ في محضرٍ
أو قصيدهْ،
وأسمعُ صوتكَ،
يسأل أسئلةً،
لا تصحّ كتابتها..
أو يصحّ انتحارُكَ فيها...
وأعرفُ..
أنّا نفرّق، بين البطولة والجُبْنِ..
بين الحبالِ التي تتدلّى..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

والحبالِ التي، تقتفي القدمينْ...

....

وقد كان أولى،
ليستكملَ الموتُ وجهَ حداثته،
اللا مبالاةُ..
شيء من السخريةْ...
علامةُ أنّكَ أدْركتَ، قوّةَ ما اخترْتَه... كبرياءً..
وشيء من الحزنِ..
فالحزن آخرُ حقٍّ نمارسه،
دون دفْع الضرائبِ
والموتُ، وحده..
يملك ألاّ يجيب المحقّقَ...
يملك صمته في علام الأسئلةْ...
وها أنتَ..
في لحظةٍ،
تتحرّر من لغة الشعراءِ،
وتبحث عن وجهك المتحضّرِ،
في البيتِ،
والوطنِ الحجريِّ،
وتبحثُ في أوجه الناس،
عن منطق الحبِّ
والاحتقارْ.

....

وماذا تبقّى؟.....
أنا بين موتكَ..
والحزنِ..
والخبَرِ الصحفيِّ..
أخذتك في دعوةٍ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وشربنا صباحاً..
وقلنا جميع الذي لا يقالُ
ولم نتسابقْ لدفع الحسابِ،
وحين انتهينا..
خرجْنا نفتّش عن موضع النومِ..
حتى تعبْنا..
أجلْ...
تعبٌ في النوافذِ
في الروحِ..
في الطرقاتْ....
.....
.....
.....
بلا .. موعدٍ...
دون... أسلحةٍ..
فبهمْ..
من رجال المدافن
إهمالهمْ
قلبوكَ..
وفتّش أكبرهم في جيوبكَ...
كان في العُنُق المرتخي،
مرونةُ من لا يحبّ المشاكلَ
.....
.....
....
وانتظرتْ جثّتي..
وانتظرْتُ المحقّقَ،
يكتبُ أنّي انتحرتُ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لأفرَغَ من علّةٍ تجعل الموتَ سهلاً..
وتمنّيتُ أن يسرعوا...
وأن أنتهي من طقوسي..
لأصنعَ شيئاً..
جديداً....

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

قصيدة تسجيلية

هذا الشهر .. حنطة ..

لا تلمسوا قميصَهُ المثقوبَ بالزهورِ،
هذا الشهر حنطةٌ،
تعطي ثلاثةَ الأضعافِ.. غلَّةً..
وبالدمِ استشيروني,
فإنّي قد شرقتُ مرّتينِ،
ثمّ قبَّلْتُ يدي،
وقلتُ في حزني:
"مُبارَكٌ كلّ الذي يجيء باسم الشعب!"
* * *
كلّ النواقيسِ نحاسٌ..
والمدى ماءٌ..
وللصدى، على الزجاجِ،
رعدةٌ في أوّل الصباحِ،
ها أنا أعيد الصوتَ من جديدٍ،
أنشر الأعلامَ.. أطويها..
وأوقد الشموعَ..
فاسمعوا:
يدقّ بوقُ النوم في المعسكراتِ:
- ناموا أيّها الجنودُ
وزّعْنا على مداخل "الدفاعِ"،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الحرسَ الليليَّ،
صوتٌ في شوارع المدينةِ:
-ارجعوا إلى بيوتكم..
يا أيّها الرجالُ..
عن قريبٍ،
يُمنع التجوالُ..
أيها العراقيونَ،
في الجنوبِ
والشمالِ،
بيِّتوا أطفالكم،
تحتَ الندى،
في شهر تمّوزَ،
سيأتي قمرٌ في الليلِ،
يقرأ الفألَ على أصابعِ الأطفالِ،
يا عرائسَ العاصمة الولودِ،
زيِّنَّ بكوركنَّ
بالفيروزِ،
والمنذورِ،
إنّما.. بِكْراً يكون الطالعُ السعدُ،
وبكراً ينضج الرغيفُ،
تذكرونَ؟
كان الخبز بارداً،
وكفّاهُ على الترابِ وردتينِ،
كان يعبر الهتاف، فوق جسمهِ

ويصل "الكرخَ" بجانبِ "الرصافةِ"
اسمعوني..
ها أنا أعيدُ الصوتَ مرّةً أخرى..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

على التراب، قرب يده اليسرى
"ففي عام 1956 خطب نوري السعيد في إذاعة بغداد قائلاً: وإنني أدعو إخواني العراقيين أن يوحّدوا صفوفهم لمقاومة الدعاية الروسية ومطاياها من الصهاينة المأجورين، وأذنابهم البلداء من غير الصهاينة، وأن نردد في وجوههم، الهوسة العراقية المعروفة: "دار السيد مامونه!".

....

من أجل أعوامٍ تصرّمتْ..
تبدّل الماءُ،
وضيّع الجسر العتيق الضفّتينِ،
واسْتُبدلتْ الأقمارُ..
لكنْ:
ظلّ وجهكِ النحيلُ كالزيتونِ،
هادئاً،
فلتنظري، أن تقسمي الرغيف بيننا
وتفتحي "البابَ المعظّمَ" الآنَ..
فإنّ الشهر قادمٌ
وهذا الحرّ،
يبصم الخطى على الإسفلتِ
يبصم الأصابعَ السمرَ،
على صحيفةِ الأعمالِ،
يطبع النشراتِ،
يغري بالمظاهرات،
يلقي القبضَ..
ميّزي وجهي، إذا اعتقلتُ،
يا بغدادُ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

واعرفيني عندما، يسألني المحققون، عن هويتي:
-أنت شيوعيٌّ؟
سكتُّ...
-قوميٌّ...؟
سكتُّ...
-بعثيٌّ...؟
سكتُّ...
-أنتَ...
ما أجبتُ...
لكن كان وجهكِ القمحيُّ،
يا سيّدتي،
ملقىً على الرخامِ،
في أقبيةِ التعذيبِ
كان العسلُ النازفُ،
من عينيكِ،
صافياً،
كالدمعِ
يجري، بين بوق النومِ والنهوضِ،
كانت "الجبهةُ"
والأجراسُ..
من نحاسٍ،
والمدى ماءٌ،
وللصدى،
على القلوب،
رعدةٌ في أوّل المساءِ.
أنصتوا:
إنا تركْنا الحرسِ الليليَّ،
مشنوقين عند القصر،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

من نقاطهمْ..
... ومرّ الضابط الخفرْ.
على عيونِ الجندِ،
لمحةَ النعاسِ.. ثمّ راحَ،
جسّ مشجب السلاحِ،
جسّ نجمتين، من نحاس فوق كتْفِهِ..
وسُمعتْ، لدى مداخل المعسكراتِ،
أصوات التحيّاتِ
وسرّ الليلِ
والسعالَ..
ثمّ مرّت ليلة أخرى...
* * *
بالتمرِ توقَظينَ،
والخبزِ الذي ينضج في التنّورِ،
فاقسمي زادك بين جائعينِ..
واغْمسي..
إنّ الفطور مرٌّ..
نشرة الأخبارِ..

"صباح 13 تموز، قال راديو بغداد: فخامة السعيد يعود إلى العاصمة بعد زيارة لبريطانيا استغرقت عشرة أيام.. اندماج سفارتي العراق والأردن... لبنان يطلب من همرشولد عقد مجلس الأمن لإنشاء قوة دولية تحول دون تسرّب الأسلحة عبر الحدود.. مجلس النواب اللبناني يصادق على اتفاقية المساعدات الأمريكية.. وإليكم مفصّل النشرة..."

من أجل أعوامٍ تصرّمتْ
تبدّلتْ خلالها الأشجارُ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

والأصواتُ،
والماءُ على السطوحِ..
ثمّ كانتْ ليلةٌ،
دقّوا على البابِ،
وخلّوا زهرتينِ للنواحِ في مخدّتي..
وبصمةً للخوف والسلاح،
يا حبيبتي..
وفي الصباحِ،
أخذوا وجهاً...
"أنا.. يتّهم البعضُ.. بأنني. مخلصٌ لملكي.. ومخلصٌ.."
لماذا لا ينوحُ بوق النومْ؟
لوجهك المزرق في حقل الوفيّاتِ،
انتظرتُ موعداً،
وأخلفَ الرغيفُ بيننا،
والملحُ..
أخلفَ الجرحُ..
ودقّت ساعة "الميدان" دقّتينْ...

"وفي إذاعة الظهيرة. قال الراديو.. الدول الإسلامية في ميثاق بغداد تبحث مشكلتي لبنان وقبرص... أول سفير بريطاني لدى حكومة الاتحاد الهاشمي.. كميات من الذهب تشحن لتغطية العملة العراقية".

تكسّر الحرّ..
أرتدي أجملَ ما لديكِ
واكتري للصبر حوذياً،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فأنت الآن أصغر الأرامل
الحسانِ،
واتبَعينا،
فالمسا.. مسّا على بغدادَ
واحرسينا من عيون المخبرين واللصوصِ
واحفظينا من نفوسنا،
فلم يزلْ مباركاً،
من لم يَنمْ من أجل عينيكِ الحزينتينِ
حتى الفجرْ..
يكون للضحى،
وردٌ،
له شذى الكبريتِ،
والطينِ،
يكون للطريقِ،
نكهة الصباح، والنفطِ،
السفير جاء منذ برهةٍ،
مرتدياً ملابساً سوداً،
وعقدةً في صدره،
زاهيةَ الألوانْ

"ففي ذلك اليوم ألقى والديمار كولدمان، السفير الأمريكي في بغداد كلمة لدى وضع الحجر الأساس لبناية السفارة الأمريكية قال فيها: وهذا العمل دليل على إقامة شاهد بالماضي الزاخر بالعلاقات الطيبة بيننا وبين هذه البلاد، ووضع الحجر الأساس لمستقبل زاخر أيضاً.."

على دمائك.. الضحى..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

شعر مخضّبٌ
وشهوة الزبدة في ملامح السفيرِ..
أمسِ اتّصلتْ وزارة الدفاعِ،
اتصلتْ، وزارة العدلِ،
وقرّرتْ محكمة الجزاء في بغداد:

"ربط المتهم... وهو تلميذ مفصول بكفالة ضامنة على أن يحافظ على الهدوء والسكينة، وكانت شرطة الأمن قد قدمته إلى المحكمة بعد أن أنهى محكوميته من قبل المجلس العرفي العسكري..."

أما ترون؟
ها أنا أكشط جلد الوردة الحمراء...
وهو عامٌ مَرَّ..
أنشرُ الملابسَ التي تُعرفُ من أردانها..
وأستعيد الغضبَ السرّيَّ..
والنشراتِ
والمسدّساتِ
والكتاباتِ على الجدرانْ،
واسمعوا ما كتبته "التايمسْ":

"المسألة ليست مسألة اتفاق لبنان وحسب. بل المسألة هي صيانة لبنان من التهديد ذي الرأسين: الناصرية.. والشيوعية"

تسلّلوا خفافاً كالقطا...
كالحَبِّ في شقوق الأرض..
إنني أقرأ كفَّ من أحبُّ:

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

كانت الحرارة العظمى (43)
كانت الريح تحبّ عن يسارنا
وأنتِ..
تنضجين الآنَ
إنّ ساعة الميدانِ،
دقّت خمسَ دقّاتٍ
وفي الأخبارْ:

"حظي فخامة السعيد.. بمقابلة جلالة الملك المفدّى ورفع تقريراً عن زيارته لبريطانيا... جلالة الملك يتصل بالحسين تلفونياً..".

ماذا تبقّى من قميصه الخاكيّ،
غير وردةٍ تلمع في الليلِ؟
تركناه على الترابِ،
خلّينا على جبينه رغيفاً يابساً،
وحَفنةً من ملح أرضنا
....
من يوقظُ الشهيدَ؟
من يكلّم القتلى؟
ويأتي بالشهود في محكمةٍ،
تقام كلّ عيدٍ،
في ضمير الناسْ..

"في الساعة العاشرة والنصف من مساء 13 تموز، أذاع راديو بغداد ـ كالمعتاد ـ تعليقاً جاء فيه: يظن الطغاة أن الناس يرون ولا يعقلون. يظنون أن الشعب

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

نام وسينام عن آثامهم. يظنون أن حبل البغي طويل سينقطع هذا الحبل، وستسقط الأوثان المعلّقة عليه.."

لحدس الأطفال:
نستلّ عن العجينِ.. شعرةً
نوزّع الأسرارَ
والموعدَ
والسلاحَ
والثورةَ
فاسهروا،
حتى تدقّ ساعة الميدان ستاً..
إن هذا الليل مثقل الأغصانْ:

"وفي منتصف الليل أذاع راديو بغداد ما يلي: يغادر بغداد إلى استانبول في الساعة الثامنة من صباح الغد الرابع عشر من تموز 1958 حضرة صاحب الجلالة المعظم في زيارة تستغرق يومين يشترك خلالها في اجتماع رؤساء الدول الإسلامية لميثاق بغداد، وذكرت مصادر مطلعة أنه يتشرف بمرافقته فخامةَ السيد نوري السعيد وفخامة توفيق السويدي و... ثم قال الراديو: والآن نتوقف عن الإرسال، وموعدنا معكم غداً صباحاً الساعة السادسة إلا عشر دقائق.."

ودَقّ بوق في المعسكراتِ
أيّها الجنودُ..
أيّها الرجالُ
أيّها العراقيونَ:
أيقظوا شهودكمْ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تذكّروا الأسماءَ،
والأيامَ،
والكتاباتِ على الجدرانِ،
هذا الشهر حنطةٌ،
تعطي لكمْ
ثلاثةً لواحدٍ،
وبالدم استشيروني،
فإنّي قد شرقتُ مرّتين،
ثمّ قبّلتُ يدي:
مبارك كلّ الذي يجيءُ،
باسم الشعبْ!!

1973

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

مقدمة أولى

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

زمان المحبين

ما تبقّى
هو الحبُّ...
هذا.. رهاني الأخيرْ...
زهرتانِ، على القلبِ،
ذابلتانِ...
وسبعُ شموعٍ،
تنيرُ الضميرْ...
وأنتمْ..
حذوني بطيبة قلبي..
فإنّ المحبّةَ، طيّبة القلبِ
والشعرُ، مغفرةٌ...
وزمان المحبّين..
جدُّ قصيرْ...

1984

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مقدمة ثانية

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الحب الغالب

أنا لا أنظرُ
من ثُقب الباب
إلى وطني...
لكنْ..
انظرُ، من قلبٍ مثقوبْ
وأميّزُ،
بين الحبّ الغالبِ، [1]
والحبّ المغلوبْ...

الويلُ لمن،
يتنصّتُ في الليلِ،
على قلبهِ،
أو يسترقُ السمعَ إلى رئتيهْ...

هذا القلب بريءٌ،
لم يشهدْ زوراً،
لكنْ،
شهدوا بالزور عليهْ...

1984

[1] لقد عدّل الشاعر هذه العبارة قبل وفاتهِ بثلاثة شهور فأصبحت:
وأميّزُ ،بين عراق غلابٍ وعراقٍ مغلوب.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سلام الفراتين..

أبتدي بالمحبَّة والصدق.. [1]
هذا رهانُ حياتي..
وهي زقَوةُ أرتقيها..
وأبدأ فيها صلاتي:
أيّها الربُّ..
يا حارسَ الحبَ والنخلِ والرافدينْ
أنا شاعرٌ،
أكلتْ قلبه الكلماتُ،
وضيّعهُ حبُّه..
فأعنّي على كلماتي..
أعطني نعمةَ الصدقِ
والحبّ.. والعافيهْ..
لأُولدَ في وطني
مرّة ثانيهْ..
......
وطنُ، سنفارقه ذات يوم،
ونترك فيه قصائدنا...
كيف نهربُ من حُلُمٍ،
إنّ بيتا كتبناه،
يمكن، من بعدنا،
أنْ يزيد الحياة شباباً...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

---

[1] عَدَّلَ الشاعر في هذه القصيدة ونشرها فأصبح مطلعها:
المحبّةُ.. والصدق..

وكيف نُدافعُ عن قلقٍ..
أن شعراً كتبناهُ،
سوف يموت، غداةَ نروحُ،
ويغدو ترابا..
وكيف، إذا الشعرُ شبَّ، بلا وطنٍ،
فهو يبحثُ عن بيته وذويةْ؟
أسمّيكَ بيتي.. وأسكن فيهْ..
ومن قمرٍ فوقه
أبتدي..
قمرٍ، لا يراهُ النيامْ..
بين أوّلِ ما في الضياءِ،
وآخرِ ما في الظلامْ..
وعلى غبَشٍ،
أرتقي نخلةً..
وأرى وطني، وهو ينهضُ من نومه،
وأراكْ..
فأهتفُ:
طبتُ صباحاً..
وطاب الصباحُ عراقا..
وطابتْ زهورُ وفاءٍ،
ترفُّ اشتياقا..
سأختارُ أمّاً عراقيةً للحنيني..
تقوم مع الفجرِ، من نومها،
فتصلّي،
وتسجرُ تنّورَها
والصباحُ، على جانبيها،
يزيدُ ائتلاقا..
ونحن نجيء إلى بيتها جائعين..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ونطلب خبز النبينْ..
فتطعمنا بيديها،
وتجمعُنا حولها،
أخوةً.. ورفاقا..
وأبقى أنا..
بين أنْ ينضجَ الخبزُ،
أو يطلع الصبحُ،
متّحداً بالقصيدةِ،
أحرقها، فتضيءُ،
وتحرقني، فأضيءُ بها،
وأزيدُ احتراقا..
قَدَرٌ..
أنْ نظلَّ على حبّ بيتك محترقينَ،
نموت به، ثمّ نبعثُ،
ثمّ نموتُ، ونبعثُ،
حتى تصيرَ الحقيقةُ أنصعَ وجهاً،
وتصيرَ المحبّةُ.. أحلى مذاقا..
الحقيقةُ والحبُّ
هما حارسا بلدي..
وهما دجلة والفراتُ،
وبيتك بينهما..
أنت بيتي..
سأترك كلّ الندامات خلفي،
وآتي..
أنا والقصيدةُ،
نأتي،
يداً بيدٍ، خاشعينَ
ونسكن..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وإذ أتحسّسُ سقفكَ يمتدّ فوقي،
ويحرسني،
يخرج الولدُ الضالُّ مني
فأصفو، وألعنُ صمتي
لأنّك جدّدتَ لي لغتي..
وباركتَ شعري
ونزّهتَ للصدق صوتي...
رأيت علامةَ وعدك، تسبقني،
فمشيتُ لها..
والنجومُ ترافقني في
الطريقِ،
وشمسك – ياربُّ
- سمتي..
....
هو ذا وطني..
ينهض الآنَ، من نومه،
فجرَ عيد
ويروح يلمّ الشذى،
وزهورَ النبادقْ..
ويُحصي الحمامَ الذي في
الكوى..
واسودَ الذرى..
والخنادقْ
سلاماً..
أسمّيك بيتي.. لكي أستعيد سلامي..
صلاة أبي،
ودعاء التي ولدتْني،
معي في الطريقِ إليكَ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وحبّي، ملاكٌ، يسيرُ أمامي..
تقوّستُ، مثل هلالٍ، على فرحي،
ومن وجهِ طفلٍ سعيدٍ،
تدبّرتُ هالةَ بدرٍ تمامٍ..
ولدٍ.. ذي ربيع.. وما فطموهُ..
فلمّا رآكَ.. وأوما إليكْ..
قبّلوه على خدّه، هانئينَ،
وقالوا: تجاوز عمرَ الفطامِ...
هو الفألُ، طفلٌ سعيدٌ
وفيروزةٌ، سوف نأخذها
من أصابعِ أطفالنا...
ونعلّقها، في صدورِ الرجالِ العظامِ..
صغارٌ.. ملائكةٌ
ونذورٌ معلّقة،
في مناقير زغب القطا،
وفراخِ الحمامِ..
وسلامٌ عليكَ
سلام الفراتينِ،
يوم وُلِدْتَ،
ويوم انتصرتَ،
ويوم ستولد ثانيةً
من مخاض السلام

1985/4/16

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سيدة الأهوار

بدمِ امرأةٍ،
من أهلِ الهورِ،
غمستُ يدي..
وسأرسمُ سيدةً،
رمزاً لعراقٍ منصورٍ،
فاقترحوا، أنتم،
ومضةَ عينيها...
وأضيفوا ضحكةَ طفلينِ صغيرينِ.. إليها..
وأنيروا عشرةَ أقمارْ..
بعد قليلٍ،
تقبلُ سيدةُ الأهوارْ..
طافيةً.. كالشمعةِ فوق الماءْ..
تحملُ في يدها اليمنى
أرغفةً حمراءَ..
وفي اليسرى.. فاكهةً من نارْ..
ورويدا..
ستهبُّ الريحُ،
وتنفخُ في هذا القصب الساكنْ..
ويطوفُ على الماءِ
صدى نايٍ،
بعد مغيب الشمسِ، يردّدُ:
"تسواهنْ.. تسواهنْ..."
ثمّ يسودُ الصمتْ...
لحظاتْ...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ويجيء صدى الطلقاتْ..
خبز السياحْ [1] يصلحْ
للأفراحْ
وزهورُ الخُبّازْ [2](2) تصلح
للجنّازْ
فإذا هبط الليلُ،
سأوقدُ هذا الفانوسْ
وأروحُ أميّزُ،
ما بين عروسٍ.. وعروسْ..
وأرى سرْب صبيّاتٍ،
يهرجنَ مساء العيدْ:
صفَقْ يا سعفَ النخلِ
أتتكَ بناتُ الهورْ
أتعبهنَ الرقصُ من الصبح،
وداء الآنَ، عليك الدورْ...
ففي ساعةٍ، مثل هذي،
تكون النجومُ، مُعلَقةً، من غلاصمها..
والغيومُ مُخبأة في المشاحيفِ
والريح.. عارية القدمينْ..
.....
قدماها، عاريتان،
على الماءِ،
وشَعركِ محلولْ
والمشطُ من الخشب المصقولْ
والمرآة مدوَرةٌ
والشوق غريب الشفتينْ...

---

[1] خبز يصنع من دقيق الرز يخبزه أهل الأهوار في جنوب العراق.
[2](2) الخباز: نبات بري أوراقه مثل الزهر لكنها خضراء تطهى في الجنوب وتسمى أيضاً (التولة).

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

من أجملُ منكِ، الليلة،
يا واسعة العينينْ؟
نامَ الولدان.. الآن..
فقومي، يا قمرَ الشبّاكْ
وابتعثي لحنينكِ،
عطر الطين...
ورائحة الأسماكْ...
هذا الليلُ بهيمْ..
قططٌ من ظلامٍ...
تفتّش، عن ولدٍ ميّتٍ، لتأكلَهُ..
وكلابٌ تشمُّ العجينْ..
والرياحُ مُحيّرةٌ.. والجنينُ حزينْ..
أجّلي من مخاضكِ..
لا تلدي..
إنّ هذا المساءْ..
يفتّشُ، عن سببٍ للبكاءْ..

.....
والدنيا ممطرةٌ..
كان المطرُ الناعمُ،
يسقطُ فوقَ خواطرها،
وعلى سقفِ البيتِ،
بإيقاعٍ عذبْ..
قالتْ:
يا ولدي.. هذا مطر نعرفُهُ..
ضيفٌ،
يأتي كلّ شتاءٍ،
من جهة القلبْ..
لن تلبثَ، أن تدفعَهُ الريحُ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

إلى الشرقِ،
فيطفئ نارَ الحربْ..
وغداً..
يأتي الصحوُ،
ويرجعُ آذارٌ ونيسانْ
ويعودُ جميعُ الفرسانْ
ها ذاكَ أبوكَ،
يعودُ على الفرسِ الشهباءْ..
وها تيكَ- أنا أمُّكَ..
أركضُ حافيةً.. فوق الماءْ..
أدهنُ خبزَ السياحْ.. بحليبي
وأزيّنُ بالقدّاحْ.. شعر حبيبي..
ورويداً..
ستهبُّ الريحُ
وتنفخُ في هذا القصبِ المذبوحْ.
فيندُّ عن العنقِ،
صدى حشرجةٍ
ويفورُ دمٌ ساخنْ..
يهمسُ:
"تسواهنْ.. تسواهنْ.."
ثمّ يسودُ الصمتْ..
لحظاتْ..
ويجيء صدى الطلقاتْ..
....
يا سريرَ العروسِ الوحيدةْ
كيف بي؟
والحبيبُ قريبٌ..
والحدود بعيدةْ؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

......

قد انقطع المطرُ الآن..
لكنّ، خمسَ زهورٍ من البطّ،
تركضُ مذبوحةً..
وخمسةَ أجنحةٍ،
تتعلّقُ بالقصبِ الرطبِ..
مكسورةً
وأحذيةٌ خمسةٌ،
وخمس بنادقَ..
خمسونَ.. خمسُ مئَهْ..
ألا.. من رأى،
وجهها حينذاكْ؟
كانت واقفةً،
تتفرّسُ في العتمةِ
كاللبوةِ،
حاسرةَ الهامةِ،
ثابتةَ القدمينْ..
تسحب أقسامَ الغدّارةِ،
من عصبِ القلبِ،
إلى القدمينْ...
من أجملُ منكِ الليلةَ..
يا سيّدةَ النهرين؟
إنّي بدمائكِ أغمسُ حدّ السيفِ،
وأرسمُ سيّدةً،
فوق جدارِ الدارْ..
أرسمُ طفلينِ،
وعشرةَ أقمارْ،
أرسمُ هذا البلدَ الآمنْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأقصّ على الأطفالِ،
حكايةَ "تسواهنْ"..

....
الهزيعُ ثقيلْ..
والمدى ريبةٌ..
غضبٌ..
ورصاصٌ..
ونارْ..
وسيّدةٌ تحتمي بالجدارْ..
.... أحكمتْ يدها في الزنادِ..
وشدّتْ..
أحسّتْ، كأنّ الرصاصاتِ،
تصدر عن جسمها..
وأنّ المشيمة، في رحمها تشرئبُّ.
وتصدرُ رائحةً مُرّةً..
ومرّتْ بها حشراتٌ من النار، مسرعةٌ
ومرَّ ذبابْ..
وطافتْ بخاطرها،
أغنياتٌ.. عِذابْ
صلواتٌ.. وأدعيةٌ..
ومن خلفِها..
كان صوتُ بكاءِ الصغيرين،
يصعدُ في روحها،
ويبدّل من شكل أجفانها..
ومواضع أسنانها..
جمّعتْ نفسها، تحت أضراسها..
وصاحتْ على الوطنِ المستثارْ..
وأطلقتِ النارَ ثانيةً،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وثالثةً..
وظلّتْ تشدُّ الزنادْ..
وظلّ الزمانْ يدورُ بها،
فهي تلهثُ،
من حوبةٍ،

وانتصارْ....
....
حتى سقطتْ....
....
هَيْ.. مرحى
صفّقْ، يا سَعَفَ النخلِ
أتتكَ بناتُ الهورْ....
أتعبهنّ الرقص،
من الفجرِ،
وجاء الآنَ، عليك الدورْ..
ورويداً...
يهدأ قلبُ الريحِ،
فأوقد هذا القنديلْ..
وأروح أميّزُ،
ما بين قتيلٍ.. وقتيلْ..
وأصيح بكم:
من يملكُ أن ينفخَ هذا القصبِ الساكنْ؟
من يقدرُ،
أن يغمسَ
زهرةَ حبّ،
في دمها الساخنْ..؟
من يخبزُ أرغفةً للأطفالِ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بهذا البلد الآمنْ؟
تسواهنْ..
تسواهنْ..
تأتي كلّ ربيعٍ،
شمعةَ نذرٍ،
طافيةً فوق الماءْ..
تحمل في يدها اليمنى،
أرغفةً حمراءْ
وباليسرى،
تحمل أغصانَ
الغارْ...

7/آذار/1985

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

المعلم

هي سبّورةٌ،
عرضها العمرُ،
تمتدّ دوني...
وصفٌّ، صغيرٌ،
بمدرسةٍ، عند "باب المعظّمِ"..
والوقتُ...
بين الصباحِ،
وبينَ الضحى...
لكأنّ المعلّمَ،
يأتي إلى الصفِّ،
مُحتمياً، خلفَ نظّارتيهِ،
ويكتبُ فوق طفولتنا بالطباشير،
بيتاً من الشعرِ:
- من يقرأ البيتَ؟
قلتُ:
- أنا...
واعترتني، من الزهوِ،
في نبرتي رعدةٌ،
ونهضتُ..
-على مَهَلٍ
قال لي..
- تهجّأْ على مَهَلٍ....
إنّها كلمةٌ...
ليس يخطئُها القلبُ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يا ولدي...
ففتحتُ فمي..
وتنفّستُ..
ثمّ تهجّأْتها، دفعةً واحدهْ..
- وطني..
وأجابَ الصدى:
"وطني.. وطني...."
فمن أين تأتي القصيدةْ..
والوزنُ مختلفُ..
والزمانُ، قديمْ...
كان صوتُ المعلّم، يسبقنا:
-وطني لو شغلتُ..
ونحن نردّدُ:
-بالخلْدِ عنهُ..
فيُصغي إلينا..
ويمسحُ دمعتَهُ، بارتباكٍ،
فنضحكُ..
اللهُ...
يبكي.. ونضحكْ..
حتى يضيقَ بنا.. فيهمسُ:
-ما بالكمْ تضحكونْ..
أيها الأشقياءُ الصغارُ..
سيأتي زمانٌ..
وأشغلُ عنه..
وأنتم ستبكون..
وزنانِ مختلفانِ...
وقلبٌ،
تقاسَمَهُ جدولانْ.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

جدول الضرب.. والحبِّ،
مات المعلّمُ،
منذ سنين،
وسرتُ وراء جنازته...
وكان معي،
(وطنٌ لو شغلتُ)
وكان يراقبني الناسُ،
(بالخلْدِ عنه...)
ومرّتْ سنونٌ..
ولم يبقَ في الصفِّ،
غير الغلامِ الذي كنْتُهُ،
بين عشرينَ، في الأوّلِ
المتوسَطِ...
قال المعلّمُ:
- من يقرأ البيتَ؟
قلتُ:
- أنا أقرأ البيتَ، يا سيدي
ونهضتُ..
ولكنني،
لفرطِ المحبّةِ،
أخطأْتُ في النحوِ..
فاسودَّ لونُ الطباشيرِ،
واحمرَ وجهُ المعلّمِ،
وامتلأتْ وجنتاي،
بحبِّ الشباب..
المحبّةُ دينٌ..
فيا سيّدي..
أعْطِنا ندماً،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بقدْر محبّتنا..
وخُذْ قلَمَ الفحْمِ،
وارسمْ لنا شاربينِ،
وزوّرْ رجولتنا...
وقُدْنا معاً،
لمظاهرةٍ، عند باب المعظّمِ
نحملْ وراءَكَ سبّورةً من قماشٍ قديمٍ،
وبيتاً من الشعرِ،
لا يخطئُ القلب فيه...
......
خرجْنا من الصفِّ..
كانت براءتنا،
مُخبّأةً في كتاب الحسابِ،
وحينَ وصلْنا إلى البابِ..
راح المعلّمُ يسبقنا،
أشعثَ الشَّعرِ والروحِ..
يلهثُ من غَيرةٍ،
ونحن،
وراء لهاثهْ..
نبكي.. ونضحكُ...
مختلطينَ،
بصوت الهتافات والطلقاتْ...
فمن أين تأتي القصيدةُ،
والمخبرونَ،
يسدون، كلّ الشوارع؟
أوقفني عند "عقْد النصارى" المحقّقُ..
كنت أقول له:
- وطني....

«منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

فيشتمني...
فأصرخ:
- بالخلد عنه..
ويضربني...
فأهتفُ:
- بالسجنِ...
صاحَ
-خذوه إلى السجنِ..
فاقتادني المخبرونَ...
وعن كثْبٍ،
كان شَعر المعلّمِ،
يبيضُّ من ألمٍ...
وصوتُ التلاميذِ،
يشحبُ،
بين الصباحِ..
وبين الضحى..
خرجتُ من السجنِ..
متّسخاً..
مثل سبّورةٍ،
كتب السجناءُ عليها
شتائمهم...
كنتُ ممتلئاً بالعناوين،
أحملُ تاريخَ كلّ المساجينِ،
في بيتِ شعرٍ،
سيبقى يلاحقني..
(وطني لو شغلتُ بالخلْدِ عنه
نازعتْني إليه......)
عراقيّةٌ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تتقنُ الموتَ والحبَّ...
وزنانِ مختلفانِ..
وعينانِ واستعانِ..
وحجلٌ ثقيلُ..
وكحلٌ.. وأسئلةٌ..
وفضولُ...
ذهبْنا إلى الكاتبِ العدلِ،
والكاتبُ العدلُ،
أرسلَ أوراقنا للمحقّقِ،
قال المحقّقِ،
وهو يحدّقُ،
ما بين عينيَّ:
-والآنَ..
من يقرأ البيتَ؟
صاحتْ:
-أنا أقرأ البيتَ...
والتمعتْ،
مثل ياقوتةٍ،
تحت شمس ضراوتها..
وخُيّلَ لي،
أنّ هذا المحقّقَ
يمضي بها، إلى غرفةٍ،
على شارع النهرِ،
وهي تقولُ له:
- وطني....
فيشتمها..
فتصرخُ غاضبةً:
- لو شغلتُ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فيبصقُ في وجهها...
فتهتفُ:
- بالخلْدِ عنه..
فيضربها...
فتصيحُ،
وقد أوجعتْها كرامتُها:
- نازعتْني إليه...
في الموتِ...

......
كانت عراقيةً....
وكانت،
إذا أقبلَ الحبُّ،
أو أقبلَ الموتُ،
ينتابُها خجلٌ،
مثل قدّيسةٍ...
فتطفئ شمعتها.. وتموتْ...

....
سكوتْ...
لم يَعُدْ ثَمَّ،
من يتجرّأ.. أن يتهجّأ بيتاً من الشعرِ،
أو يتذكّرَ
في السرِّ،
عنوانَ بيت حبيبته..
فالمعلّمُ ماتْ...
ولم يبقَ،
غيرُ غبارِ الطباشيرِ،
والكلماتْ...
فكيف، تتمُّ القصيدةُ؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

إنّي لفرط المحبّةِ، والحزنِ،
أخطأتُ في الوزنِ،
فانقطعَ البثُّ....
....
....
.... ثمّ ابتدأ البثُّ..
قال المذيعُ:
- إذاعةُ بغدادَ
طبْتُمْ صباحاً
فطبْنا.. وطاب الصباحُ..
وأحسستُ،
أنّ شذىً،
يتصاعدُ من رحِمِ الأرضِ...
فيه مزاجٌ من الماءِ والطينِ،
والقمحِ، قبلَ اختمارِ العجينِ..
وخُيّلَ لي،
أنّها شاشةٌ، عرضها العمرُ،
تمتدُّ دوني...
لكأنّي بذاكَ المعلّمِ،
يظهرُ، متّقداً بالحنينِ..
ويقرأ للناس، بيتاً من الشعرِ..
قالَ المعلّمُ:
-من يحرسُ البيتَ؟
قلت له:
- أنتَ من يحرسُ البيتَ يا سيّدي..
واعترتْني من الزهوِ،
في نبرتي رعدةً..
فأفقتْ....

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

رأيتُ شموعاً،
ببابِ المعظّمِ موقدةً،
وهلالاً يسير على الماء.
يتبعه موكبانِ،
من الحبّ والكبرياءِ:
فأين ختامُ القصيدةِ؟
إنّ المعلّم يسبقنا...
ونحن وراء المعلّم،
نلهثُ...
كنتُ أقول له:
- وطني..
فيعانقني..
وأهمس مضطرباً:
- لو شغلتُ...
فيسألني:
- بماذا شغلتَ...
ويومي، إلى موكب الشهداءِ...
لك الله يا سيّدي..
لكَ الله يا سيّد الشعراءِ..
أنا.. غيرتي نازعتني...
وعيّرني، لحظةَ الشعرِ صمتي..
(رأيتُ المواكبَ تزحفُ دوني..
صرختُ خذوني..
فلم يسمعِ الركبُ،
صوتي...
تعرّقَ للحربِ قلبي
كما الأمّ عندَ المخاضِ،
وقد سَجَرَ الناس للخبزِ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

قلتُ:
- العوافي لكم
كلّ ما تسجرونَ
وصبّوا على النار زيتي...) [(1)].
أنا رجلٌ
ما يزالُ يجرّبُ،
أن يمزج، الماء بالزيتِ
والزيت بالدم
والدم.. بالدمعِ..
مُلتبسٌ، أبداً
بين وجهينِ،
وجهٍ بريءٍ.. ووجهٍ مرائي...
ذهبتُ إلى الكاتب العدْل، والكاتب العدل،
أرسلني للمحقّقِ..
قلتُ له:
- ما ترى؟
إنّه آخرُ العمرِ،
ما عادَ متّسَعٌ،
لأُتِمَّ القصيدةَ...
خُذْني إلى الحربِ،
يا سيّدي..
لعلّي هنالكَ،
أُختمها بدمائي...

1985/11/23

---

(1). مقطع من قصيدة "رياح بني مازن 1967".

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أين الشعر.. وأين الشعراء؟ [1]

ما للوفودِ... مَشيُها وئيدا..
بشائراً تحملُ.. أم عهودا..
أم القوافي.. جُثَّماً.. قعودا..؟
والبحرُ صعبٌ.. والمدى طويلُ
مستفعلن مستفعلن فعوُل
قد تقصرُ الحربُ.. وقد تطولُ
وأشرف الصبر، هو الجميل
لكني أسألكم:
ماذا يمكن أن نفعلَه- نحن الشعراء.
لو أنّ الأعداءْ.
هجموا هذي الساعةْ
واقتحموا القاعة..؟
ماذا لو غُلّقتِ الأبوابُ،
وقال القائل:
يا شعراءَ الوطنِ الباسلْ..
يا كلّ الشعراء الشرفاءْ..
فلينظرْ كلَّ منكم..
أين يقاتلْ..؟
ثمّةَ جيشان الآنْ:
جيش الحقِّ..
وجيش الباطل..!!

---

(1). ألقيت في مهرجان الشعر السابع ببغداد 1986.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يا مرحباً..
هذي وجوهُ.. الأهل.. والأقاربْ
ومّاضةٌ.. كالأنجم الثواقبْ
أرى وجوهاً بينها.. شواحبْ
تخافُ أن تحبَّ.. أو تحاربْ..
ورويداً..
تبتدئُ الصورةْ..
فنرى، عشرة كهّان عميانْ
يقفون عراةً.. قرب المنبرْ
كلٌّ يحمل في يده خنجرْ
لكأنّي الآنْ..
أسمعُ صوت عريف الحفلِ،
ينادي أسماءً أعرفها..
وكأنّ صدى
يتردّدُ خلفَ الأبوابِ،
ويصدرُ من بين شقوقِ الجدرانْ:
هذا يومٌ،
يُمتحن الشعراءُ به،
وتجرّب صدقَ سريرتها الأوزانْ..
فالحبّ قطبٌ.. والوفا مدارُ..
والشاعرُ الحرُّ.. له خيارُ..
فاخْترْ..
هنيئاً لك.. ما تختارُ..
(سوف نرى.. إذا انجلى الغبارُ..
أبغلةٌ تحتكَ..
... أم حمارُ..)

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

إذّاكَ أراكَ مجيداً..
تنهضُ من سَورةِ شعرك
مثل أذان الفجرِ،
وتمضي بخطىً ثابتةٍ للمنبرِ،
متّقداً..
بقصائدك العشرْ.
تلك هي الصورَةْ:
عشرُ قصائد،
تركضُ في القاعة، مذعورَةْ
يتبعها الكهّانُ العوز..
كلٌّ يحملُ في يده ساطورْ..
ويجرُّ وراءه،
تابوتاً، فيه عظامٌ منخورَةْ...
يرتعبُ الشاعرُ فوق المنبر من ألمٍ...
يبكي....
أبكي...
يبكي كل الشعراءْ...
وأفيقُ...
أرى فوق قميصي
آثارَ دماءْ..
دَمُ من هذا؟
أهو دمُ المتنبّي..
أم ذاك دمُ السيّابْ..؟
يتحدّرُ من فوق المنبرْ
ويسيلُ على المحرابْ..
هذا دمٌ مجرّبٌ.. وصادقْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تعلّم الحكمة في الخنادقْ..
دمٌ له ضراوة الوثائقْ..
مستفعلن مستفعلن مفاعيل..
دماؤنا، تسيل كالتراتيل..
حين تجفُّ.. تنطفئ القناديلْ..
وتذبل البيارقْ..
أمّا أنتم فأجيبوني..
أيّ قصائد،
يمكن أن نقرأها-
نحن الشعراءْ..
لو جئنا هذي القاعةْ..
ووجدنا فيها.. آلاف الشهداء..
ينتظرون قصائدنا العصماء..
بعيون متعبةٍ.. وقلوبٍ ملتاعةْ
من فرطِ التحديقِ.. وطول الإصغاءْ.
لكأني الساعَةْ
أسمع صوتَ السيّابِ،
يدوّي في هذي القاعَةْ
(لا تكفروا نعمَ العراق..
خبيرُ البلاد سكنتموها،
بين خضراءِ وماءِ..
الشمسُ، نورُ الله،
تغمرها بصيفٍ أو شتاءِ..
لا تبتغوا عنها سواها..
هي جنّةٌ..
فحذارِ من أفعى..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تدبّ على ثراها..)
لكأني، أسمع صوتَه هذي الساعَةْ..
يتناهى من قبرٍ،
يجثمُ كالمنبرِ،
في صدرِ القاعَةْ..
ويروحُ، يفتّش عن أصداءْ:
أين الشعرُ..
وأين الشعراءْ..
ليس سوى أسماء،
تتأرجحُ فوقَ مقاعدَ فارغةٍ،
وقصائد فارغة
تجلسُ تحت مقاعدها من خجلٍ،
وعوانس،
في زيّ قصائد عصماءْ
سنوات ستٌّ،
والشعراءُ المحترفونَ،
يروحون إلى المنبر،
ثمّ يعودون، وقد ثملوا بقصائدهم،
فإذا تعبوا.. شربوا، نخبَ الشهداءْ..
سنوات ستّ،
والشعراءُ المغتربون نفاقا..
فرحونَ، بأن قصائدهمْ،
صارت آنقَ،
فهي تؤجّر، في كلّ عزاءْ
شعراءٌ.. غابوا ساعات الضيقِ
وإذا داس الغرباء ترابهمُ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

صاروا غرباءْ
أكفرُ بالشعر.. وبالشعراء،
الآنَ.. أريدُ صراخاً.. يكفيني..
صوتاً،
يصعدُ من كعبيْ قدميَّ،
إلى رئتيَّ،
ويدفعُ حنجرتي،
مِلْءَ فمي..
فأقيءُ صراخاً ودماً..
وبقايا إنسانْ..
لكنْ.. وا أسفاهْ...
حنجرتي.. لا تصلحُ...
تشوّهها السكرُ..
وبدّلها الصبرُ..
وزيّفها الكتمانْ
فأعيروني بعضَ حناجركمْ
يا شعراء الوطنْ العربيّ الشرفاءْ
ولنصرخْ..
ولنصرخْ..
حتّى يغدو، هذا المنبرْ..
أكبر مئذنةٍ..
في الوطن العربي الأكبرْ...

1986/3/19

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa

استيقظ .. يا يوسف..

في حُلُمي...
خُيِّلَ لي، أني استُشهدتُ..
ورحتُ أراقبُ نفسي..
كنتُ، لبضعِ ثوانٍ، مُنتشياً..
أهمسُ: الله.. لهذا الموتِ العذب
مجرّدَ أن تذهبَ،
في الحلم إلى الحربِ،
وستشهد..
لكنْ..
فاجأني عصفورٌ دوريٌّ،
فجفلتُ.. وزلّتْ قدمي..
وشعرتُ كأنّي، أسقطُ من جبلٍ..
واستقبلني العشبُ..
ونوَّمني..
أتراني أحلمُ؟
صار العشبُ فراشي..
وسمعته يهمسُ:
حاولْ أن تنهضَ
كي أصلحَ من شأن ملائاتي تحتكَ..
قال العصفورُ الدوريُّ:
سأتركُ من ريشي في جرحكَ
كي يشهدَ..
قلتُ لنفسي:

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أنّي لي أن أتأكّدَ...
لو أمكنَ، أن ألمسَ ترقوتي..
حيث تذوبُ الآنَ الإطلاقةُ
قطعةَ ثلجٍ.. وتسيلُ على قلبي
آه.. لو أمكنَ أن أنهضَ
أو أن أصرخَ.. أو ..
جرّبتُ.. ولم أُفلحْ...
وتساءلتُ:
تُرى ماذا يتوجّبُ،
أن يفعلَهُ إنسانٌ مثلي..؟
فأنا، لم أستشهد من قبلُ،
وأخجلُ،
من أن أخطئَ
في استشهادي
فيعيّرني الشعراءُ...
تُراني أحلمُ..
أيُّ عذابٍ هذا؟
أن تستشهد في الحلم...
وتبقى، بعد استشهادكَ،
مُلقىً فوق العشبِ..
تمرّ الغيمةُ فوقكَ
والعصفورُ، يحطُّ على جرحكَ
والريحُ..
أحسُّ كأن الدنيا
توشك أن تمطرْ...
قلت لنفسي: لابدَّ من الصبر...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فهذي... فرصةُ عمري
إنّ الدنيا غائمةٌ..
والريحُ تهبُّ...
ابتدأتْ تمطرُ..
والعشبُ تبلّلَ..
وابتلَّ العصفورُ..
وخُيّلَ لي: أن شذىً
يتناهى في روحي،
يشبهُ رائحة امرأةٍ،
ولَدَتْني قبل قليلٍ...
لن تلبثَ، أن تدفع للأرض مشيمتها
لا..
..ما هذا حلمٌ
تلك امرأةٌ ولدتني، في منتصف الليلِ
ومازلتُ إلى هذي الساعة
أذكرُ دفء جدار الرحمِ...
ورائحةَ الحبلِ السريّ...
وأضحكُ...
إذْ أتذكّرُ،
أني لحظةَ ميلادي،
قبَّلْتُ أصابعَ قابلتي..
فاحتضنتني باكيةً...
آهٍ,.. يا امرأةً
أعطتني في منتصف الليلِ..
شهادة ميلادي،
أيّ امرأةٍ تملك أن تعطيني الساعةَ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أوراقَ استشهادي،
أو تسمح لي، لحظة موتي،
أن أتحسّسَ دفء مشيمتها..
وأشمَّ عبيرَ بلادي..
أتراني أحلمُ..
عينايَ مفتَحتانِ..
قد انقطعَ المطرُ الآنَ،
وجفّ العشبُ،
ومازلت أقولُ: سأستشهدُ...
ثمّ تمرُّ الأيامُ..
ولا أستشهدُ..!
أيّ عذابٍ هذا؟
إني أحلمُ مفتوحَ العينينِ..
أما من أحدٍ يُغمض لي عينيَّ،
ويهمسُ:
-يا يوسفُ.. إنك تحلمُ
فاستيقظْ من حلمكَ!
عَزَّ عليّ الحلمُ
وعزَّ استيقاظي..
وتوسّلتُ بكم:
بضعَ ثوانٍ أخرى..
ما الضيرُ...
أنا لم أستشهدْ من قبلُ...
وأجهلُ.. ماذا يتوجّبُ،
أن يفعله إنسان مثلي..
قال العشبُ:

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تمدّدْ، مثل صليبٍ
ومْدُدْ عن جنبيكَ ذراعيكَ..
فإن جاء الشعراءُ إليكَ.. فلا تحفلْ..
أغمضْ عينيكَ.. ودعْهم يبكون عليكَ،
إلى أن يكتمل الإكليلُ..
ويشتعل الشيبُ على فوديكَ..
اشتعلتْ روحي..
واحترقَ الإكليلُ..
وأظلمتِ الدنيا...
وأنا مازلتُ وحيداً،
مُلقىً فوق العشب..
أراقبُ عاري..
وأرى دوداً،
يخرجُ من شفتيَّ
ويأكلُ أشعاري..
استيقظْ يا يوسفُ
استيقظ
إسْ... تيْـ... قظْ...

1986/4/1

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

إجازة

شهداءٌ عشرهْ..
نزلوا، يوم إجازتهمْ للبصرهْ..
أربعةٌ منهم-
كانوا مدعوّين، لحفلةِ عرسٍ في العشّارْ..
أربعةٌ،
راحوا لزيارةِ جرحى معركةِ الأهوارْ..
وتبقّى اثنان:
الأولُ،
راح يفتّشُ في البصرةِ عن دارْ،
في يدهِ، باقةُ أزهارْ..
والثاني، ظلّ وحيداً..
فأدارَ عن البصرة وجهَهْ
ومضى ثانيةً.. للجبههْ...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

حلول

أراقبُ دبّابةً عراقيةً،
تتقدّمُ نحو العدوَ..
أتابعها..
وهي تطلقُ نيرانها..
فأصيحُ:
إلهي..
أنا شاعرٌ..
وهي دبّابةٌ...
وشتّانَ...
فلْتُعطني آيةً...
فجأةً..
أحسُّ.. كأنّ يداً باركتني..
فهذا أنا،
أتحوّلُ في جسدٍ من حديدٍ..
وتلك هي الروحُ،
تصنعُ لي سُرفةً..
وجنازيرَ..
هذا هو البرجُ..
إني..
أتقدّم نحو العدوّ..
وأطلق ناري!

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

1986/2/24

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

بين إطلاقة . . وإطلاقة..

فرصةٌ،
للرجولةِ، والحبّ..
يا أمّ مريمَ...
خلّي الصغيرةَ،
نائمةً،
في فراش طفولتِها...
سأحبُّكِ أكثرَ،
حين أعودُ،
من الحربِ منتصراً
وتحبيني...
إنني...
ما أزال،
أسمّي الرصاصَ،
بناتِ محلّتنا..
واسمّي المدافعَ
أبناءَ عمّي..
وما بين إطلاقةٍ،
وإطلاقةٍ،
أحبّكِ أكثرَ...
يا أمَّ مريمَ..
خلّي الصغيرةَ،
نائمةً،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

في سريرِ طفولتها...
واغسلي عتبةَ البابِ،
واغتسلي
واستريحي..
فإن أعلنوا في البيانات
عن حبّنا...
لا تُراعي...
لأنّي تبرّعتُ باسمكِ،
في ساعةِ الموتْ...

1986/2/11

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

الشميم..

شذىً مبهَمٌ،
يطوفُ محلّتنا،
منذُ يومينِ،
عطرٌ..
كذاكَ الذي يتخلّفُ من تعبِ الحبِّ،
أهوَ الربيعُ..
أم الحبُّ؟
أم هذه لهفة الانتظارْ؟
....
شذىً..
ومن ليلتينِ،
يراقبني فرحي،
ويرسمُ فوق الضبابِ،
الذي، في زجاجةِ نافذتي،
زهرةً،
ثمّ يمسحها،
ويشمُّ أصابعهُ...
ويروح يلوّح لي بالمحنّةِ..
أهو الربيعُ إذنْ؟
أم الحربُ في آخر أيامها،
تذيعُ بياناً عن الحبّ؟
.... بل هذه شهوة الانتصارْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تتناهى
من الأرضِ،
والماء...
والناس..
ليل.. نهارْ...

1986/3/21

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

زهرة..

ذرّةٌ،
من تراب العراقْ..
حملتْها الرياحْ..
وألقتْ بها، في الصباحْ
فوق جرح شهيدْ...
شهق الجرحُ،
من فرح، وألمْ..
وأطبق أجفانه..
والتأمْ...
تاركاً عند حافّته،
ذرّة من تراب العراقْ..
وزهرة دمْ..

1986/2/22

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

مساء عراقي

صورٌ من المعركةْ..
والمساءُ العراقيُّ،
بيتٌ وديعٌ..
وطفلانِ..
يستحضرانِ دروسَهما..
وتلميذةٌ،
تخطّط في دفتر الرسمِ،
ذاهلةً،
صوراً مضحكَةْ..
-سيذاعُ بيانٌ جديدْ...
يفتح البيتُ أذنيهِ،
تشخص عشرَ عيونٍ عراقيةٍ...
وتختلطُ الآنَ
رائحةُ الحربِ،
برائحة الخبزِ،
والأمُّ،
ترفعُ عينينِ حانيتينِ،
إلى صورةٍ،
معلّقةٍ في الجدارِ،
وتهمسُ:
-يحفظكَ اللهُ..
ثمّ تروحُ،

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

تعدّ العشاءَ،
على مهلها..
وفي ذهنها،
صورٌ،
تنتقيها
من المعركةْ..

1986/3/18

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

أيها المغترب..

"وحيد بمقهاكَ"
إن القصائدَ
في جبهة الفاوِ
ليستْ وحيدَه...
وبغدادُ،
في ساعةِ الحبّ
ليستْ بعيدَهْ..
....
حسبُ أن تقتربْ..
أيها الشاعرُ
المغترب....

1986/3/1

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

من قصائد البلبل الأسود
1976 -1980

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

السؤال الأخير..

يبتدي الحبُّ .. بالأسئلةْ..
ينتهي..
ويظلُّ السؤالَ،
بدون جوابْ..
ونحنُ،
نفتّش في الكلماتْ..
وبين الأصابع.. والذكرياتْ..
فما بين أسئلةٍ في الضميرْ..
وأخرى تشاركنا في السريرْ..
نزيد عذاباً..
ونزداد حبّاً..
إلى أن
يجيءَ
السؤالُ
الأخيرُ...!

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لقاء...

رجلٌ أخرسْ
وامرأةٌ حسناءْ..
يلتقيانْ..
يتبسّمُ..
تبتسمُ المرأةُ..
يومئُ..
تومئُ...
ينهضُ.. تتبعَهُ..
يمشي.. تمشي معَهُ..
حتى يصلا آخر هذي الدنيا...
يقفُ الرجلُ الأخرسُ، مرتبكاً..
يتساءلُ، في سرِّهِ:
-ما آنَ لها أن تفهمَ
أني رجلٌ أخرسْ؟
في حين تظلّ المرأةُ، قربَهُ واقفة،
تتساءلُ:
-ما آن له أن يفهمَ،
أني امرأة خرساءْ....

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa

عطب..

قبلَ ثلاثة أيامٍ،
كنتُ أراقصها..
وإذا اقتربتْ إحدى أذُنيها من شفتيَّ،
همستُ:
-أحبّكِ..
فابتسمتْ..
وأشاحتْ عني..
وانتهت الرقصهْ...
....
بعد ثلاثةِ أيامٍ،
هَمَسَتْ، حين جلسنا في (الباصِ)
-أُحبّكَ
فاضطربتْ أذناي...
وقلت لها:
-عفواً.. لم أسمعْ ما قلتِ..
أجابتْ:
-أبداً...
أتساءلُ، إن كان (الباصُ) به عطبٌ..
قلتُ:
-أجلْ..
إنَّ (الباص) به عطبٌ..
وسكتنا.. وانتهت القصّةْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

استرخاء..

الدنيا غائمةٌ..
وحبيبةُ روحي نائمةٌ
والقهوةُ فوق النارْ...
يختلطُ الآنَ شميم الحبِّ،
بعطرِ القهوةِ،
وهي تفورُ،
ورائحةُ الأمطارْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بلل..

أمطرتْ..
والقمرْ..
وحده، يتململ تحت المطرْ...
أرتدي معطفاً واقياً..
وأخرجُ..
كلّ الشوارعِ مقفرةٌ..
وأنت إلى جانبي....
وروحي مبلّلةٌ بالمطرْ..

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

الأصابع

يدها
دافئَهْ...
ويدي
بارِدَهْ..
خلطنا أصابعنا..
وقطفْنا معاً..
زهرةً واحدَهْ...

1979

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ربما..

ربما كان حُلْماً..
ولكنني أذكرُ الآنَ،
أنكِ كنتِ تنامينِ قُربي،
وأنكِ كنتٍ سعيدَةْ..
.... وأذكرُ
أني تكلّمتُ في حلمي..
وأني كتبتُ قصيدَهْ..
وحين أفقتُ..
رأيتُ المساءَ وراءَ زجاجةِ نافذتي،
والسريرَ غريباً..
وأنت بعيدَهْ...

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

حوار.. عبر الهاتف

- هلو..
- يا هلا..
- هل تبيّنْتِ صوتي..؟
- أجلْ.. كنْ على حذرٍ..
- لا تخافي.. أنا أتكلّمُ في التليفون العموميِّ،
- أخطأتَ..
- لكنني..
- أبداً.. إنهم..
- اسمعي..
- هلو..
- إنني..
- يا حبيبي أتسمعني؟
- اصرخي.. لست أسمعُ..
- ماذا تقولُ؟
- أُحبُّكِ..

ينقطع الخطُّ..
صمتْ..

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

أمسية السبت

في هذي الساعةِ،
من أمسيةِ السبتْ...
حيث امرأةٌ نائمةٌ قربي..
والغرفةُ، غارقةٌ في الصمتْ..
أتوقّعُ أن يحدث شيءٌ ما..
أن يقرعَ بابي،
شرطيٌّ-مثلاً-
يسأل عن رجلٍ مجهولْ..
أو أن أنظر تحتَ سريري،
فأرى، ثمّةَ، إنساناً مقتولْ...
أتوقّعُ.. أن يحدثَ شيء ما..
لكنْ...
تمضي الساعاتُ..
ولا شيءَ..
سوى أمسيةِ السبتْ..
تتفرّسُ بي،
من نافذةِ البيتْ...
أتعبُ من قلقي..
وأنامْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فجأة...

كنتُ مستلقياً، في سريري...
وإلى جانبي امرأةٌ عاريَةْ...
فجأةً..
فُتح البابُ..
جاء رجالٌ ثلاثةْ..
أخذوا امرأتي..
وخلّوا إلى جانبي،
امرأةً ثانيَهْ..
....
عندما أخذوها..
تبقّتْ أصابعها في يدي!!

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

غداة غد..

الحبيبةُ غائبةٌ..
وأنا حاضرٌ...
الحبيبةُ نائمةٌ..
وأنا ساهرٌ..
الحبيبةُ سوف تعود غداً..
وأنا سأغيبْ..
من تراهُ،
غداةَ غدٍ..
سيكون الحبيبْ؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

اش ش ش...

أسمعُ.. صوتَ خطىً خلف الباب
أسمعُ.. مصراعَ الباب يدور..
أسمعُ.. صوتَ خطىً.. تدنو في حذرٍ..
أسمعُ.. صوتَ تنفسك المكتوم
أسمعُ.. صوتِك يهمسُ باسمي..
أسمعُ..
أسمعُ..
أسمعُ..
لكن لا أفتحُ عينيَّ، وأنظرُ..
أخشى،
أن أستيقظَ من حُلُمي..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa

العيون

إنها امرأتي..
أيها العابرونْ..
وهذا سريري..
أشيحوا..
أما تستحونْ؟
يصعبُ الحبُّ
حين تحدّقُ فينا،
العيون الغريبَةْ..
....
ويأخذها الموتُ مني..
فتهمسُ لي،
ابتعدْ يا حبيبْ
يصعب الموتُ،
حين تحدّقُ فينا،
العيون الحبيبةْ...
....

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

نافذة

من سنتينْ..
وأنا أحملُ نافذتي..
وأطوف الدنيا..
أبحثُ عنكِ..
من سنتينْ..
صارتْ عيناي
لأجلكِ،
نافذتينْ...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

في سيارة إسعاف

أمسِ..
رأيتكِ في حلمي..
راكبةً سيارةَ إسعافٍ
وإلى جانبكِ امرأةٌ،
ذات ملامح شعبيّهْ...
قلت لنفسي:
-هذا وجه أعرفهُ..
ثمّ تذكّرتُ امرأةً،
ترقص، دون يدينِ
ولا قدمينْ..
في نصبِ الحريّهْ...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

صمت..

كلّ الأجراسْ،
صامتةٌ...
جرسُ القلبْ
جرس التليفونْ..
جرس البابْ..
ما مِنْ أحدٍ،
يسألُ عني،
في هذي الدنيا؟
ما من أحدٍ،
يقرعُ بابي؟
هل غاب جميع الأحبابْ؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الغراب..

غرفةٌ..
أُغلقتْ منذ بضع سنينْ..
وقفنا على بابها حائرينْ:
الستائر مسدلةٌ،
والظلامُ قديمْ..
وثمّةَ في الزاويةْ،
سريرٌ.. وفي الجهة الثانيةْ،
غرابٌ صغيرْ..
تململ لما رآنا.. وطارْ
وصار غبارْ...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الساعة...

أسمعُ صوتَ الديكْ..
أستيقظ من حلمي.. فزعاً
أتطلّعُ للشبّاكْ
أنظرُ في الساعهْ..
لكن الساعة خدّاعَهْ..
فالليلُ.. على أوّلهِ...
عجباً..
هل أخطأتُ الساعةَ ثانيةً
أم أخطأتِ الساعة فيكْ..؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa

موت الكرسي

كرسيٌّ،
خشبيٌّ،
منسيٌّ.. عند البابْ
مفتوح الكفّينْ
يتطلّع للعالم باستغرابْ..
مرّتْ سنتانْ،
والكرسيُّ الخشبيُّ لدى البابْ
مشلولُ الكفّينْ..
مكسور القدمينْ..
....
أوّل أمسْ..
أغمض عينيهِ الكرسيُّ..
وماتْ..

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

باختصار

الليلةَ،
كان الكابوسْ،
مختصراً جداً...
مائدةٌ..
وزجاجةُ خمرٍ..
وثلاثُ كؤوسْ...
وثلاثة أشخاصٍ،
من دون رؤوس..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa

الخيط...

خيطٌ من نمل أحمرْ،
يتحرّكُ بين سريري.. والبابْ..
أنهضُ من نومي..
أسحقُ خيطَ النمل بأقدامي..
وأعودُ..
وإذْ أستيقظُ ثانيةً،
ألقى،
بين سريري والبابْ،
خيطاً آخرْ...
أكبرْ...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مشاركة

هذا الرجلُ الأصلعُ،
ذو الأسنان الذهبيةْ..
يأتيني كل عشيّهْ..
ويشاركني خبزي..
فأشاركه أحزانَهْ..
حتى يشبعَ..
إذّاك،
أراه يُخرج من جيبهِ،
عود ثقابٍ،
ويروح ينظّف أسنانَهْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

السلحفاة

دخلتْ سُلحفاةٌ إلى بيتنا..
فاضطربنا...
قالت امرأتي:
-أخرجوها..
قالت امرأة الجارِ:
-بل اقتلوها..
قالت الخادمةْ..
قال شيخ المحلّةْ...
كثر القولُ..
واجتمع الناسُ...
والسلحفاة البريئةُ،
تصغي إلينا..
وتبكي على نفسها... وعلينا...

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

العزف

وقفتْ عند البابْ
سيّارةْ...
وترجّلَ منها اثنانْ،
قرعا جرس البابْ،
فخَرجتُ،
وإذْ رأياني،
ابتدءا بالعزفْ:
نقَرَ الأول بالدفْ..
والثاني نفخَ المزمارا..
ففهمتُ،
وسرت وراءهما،
أرقصْ...
ودموعي تجري مدرارا...
أسرار...
ما يزالُ السرير الحديديُّ،
في غرفتي،
ينامُ على وجههِ..
رأسهُ يتدلّى إلى الأرضِ،
عيناهُ،
مُغمضتان على سرّهِ،
وقوائمه السودُ،
تحفرُ أظلافها في الرخامِ،
وتحتَ الملاءةِ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تبدو عظام السريرِ المعذّبِ،
ناتئةً باردةْ...
تراودني،
أنْ أنامَ عليها..
ولو مرّةً واحدهْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

العشاء

حينَ أعودُ إلى بيتي،
كل مساءٍ..
يخرجُ حزني، من غرفتهِ،
مرتدياً معطفه الشتويْ..
ويسيرُ ورائي..
أمشي.. يمشي..
أجلسُ.. يجلسُ..
أبكي...
يبكي.. لبكائي..
حتى ينتصف الليلُ.. ونتعبُ...
إذّاكَ أرى حزني..
يدخلُ للمطبخِ،
يفتح باب الثلاّجةِ،
يُخرجُ من قطعةِ لحمٍ سوداءِ،
ويُعدّ عشائي...

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

اعتياد

معتادٌ..
حين أعودُ إلى بيتي...
أنْ أقرعَ هذا الجرسَ الأخرسِ...
... أدري..
لا أحدٌ في الدارْ...
لكنْ
هذا الجرسُ المسكينْ...
لم يقرعْهُ أحدٌ...
مُنذُ سنينْ...

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

يساراً حتى جبل الزيتون [1]

عشرون خنزيراً مجنزراً...
يرعون، في خرائب التلّ الشماليةْ
مرّوا ثقالاً،
وعلى مهلٍ
فهدموا بيتي
وقتلوا أهلي
عشرون خنزيراً خرافياً
جاءوا قبيل الفجر للتلِّ..
ورحلوا في آخر الليلِ...
لم يتركوا في البيت إلاّ الصمتْ
وقمراً للموتْ...
إنّه قمرٌ من دمٍ،
قد التصقت كِسَر الخبز فيهِ:
دمٌ.. وترابُ
وهرّ على كتفيه غرابُ.
ولقد نظرتُ بمقلتيْ ذئبٍ إلى جسدي،
وأحسستُ العواء يجيئني دبقاً،
يبلّله اللعابُ
ورأيتُني أتشمّم الجثث الحرامَ
أفتّش الموتى، عن امرأتي...
لكن: صاح غراب البينْ

---

(1) ألقيت في المربد الرابع.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فانشقّ المشهد قسمينْ
ها أنذا في الملجأ حيث يعيش معي
ألف فلسطيني:
فالملجأ جوعٌ
والملجأ خوفْ...
لمّا ابتدأ القصفْ
زحفت قربي أصوات أنينٍ طينيّ،
تتبعها أصوات مخاضْ.
سقطت قنبلةٌ أخرى،
سقط السقف..
قتلنا..
....
وسمعنا صوت جنين يضحك في الأنقاضْ..!
....
قمرٌ ميتٌ
وجنين يتيمٌ..
رأينا على القمر المستريبْ،
نحلة من دماء، وشعرة ذيبْ..
والليلة سوف يسير من القمر الميّت،
خيطٌ دم عربيٌّ يعلق بالأغصانْ
والليلة تنبت، في تلّ الزعتر، أشجار الزيتون،
ويكتمل البستانْ..
وتجيء قبيل الفجر،
خنازير سودٌ،
يركبها عشرة كهّانٍ عورٌ،
فالزيتون اكتمل الآنَ، وصار حزيناً..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

هذا القلب الطيّب صار حزيناً..
وعمّا قليلي،
ستبتدئ المجزرةْ
فمن يشتري التذكرةْ؟
إنّي ابْتعْتُ لهذي الليلة تذكرتين،
فكنّا اثنين،
أنا ويهوذا،
في منتصف المشهد!
.....
جسدٌ عارٍ،
مقطوع الرأس،
أصابعه، متشبّثةٌ، ببقايا شعرٍ أسودَ،
يومض فيه خاتمُ عرسٍ ذهبيّ...
وعلى العنُق المقطوعِ،
بقايا قُبَلٍ متعجّلة،
توشك أنْ تتيبّس!
صحت: هي امرأتي يا أهل التلّ...
أجاب يهوذا:
-أبداً..
هذا الجسد العربيُ،
سيبقى عشر ليالٍ في القفر،
إلى أن يتفسّخ فيه الوطنُ العربيْ!
.....
.....
يهوذا
يهوذا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أيّها الخائن الأبديّ الوسيمْ،
لقد عُيِّنَ الرعبُ شاهد زورٍ
ودُرِّبت الشبهاتُ،
على الشعر
والنبض
والقبلاتْ...
ففيم تجرّبني؟

.....

أصلِّي:
يا أبانا الذي في الضميرْ
تقدّسْتَ،
كنْ معنا في الخيار الأخيرْ..
وإنْ كان لابدّ..
فلْندخلِ التجربةْ...

......

أخذني يهوذا..
أمسك بي من موضع الحزنِ،
فضاق الكون من حولي،
وصار غرفةً، للموت والتعذيبْ
قيّدني..
وقال لي: حدّقْ..
تطلّعتُ: رأيتُ امرأةً تبكي على الصليبْ
صبيّةً تصرخ- من مخيّم الدكوانة:

الخبز فوق الجراحْ والماء في العينينِ
لمّا عصرنا السلاحْ أسـقط قطـرتينِ
قبل مجيء الصباحْ قُتلـت مرّتـينِ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لا تقتلوني مرّة ثالثة...
لا تقتلوني فأنا تعبانهْ!!

......
متعبةٌ حبيبتي..
قد تعب الزيتون فوق غصن الياسْ
ومتعبٌ من المحبّة ابن الناسْ
ومتعبٌ يهوذا..
أخذني من موضع الرعبِ،
فصرتُ عارياً..
وضاقت الغرفة بي:
سبع خطىً من الشبّاك حتى البابْ
سبع خطىً..
سبع بساتينِ
سبعة أحزان المساكينِ
وسبعة من الأطفال يلعبون صائحينْ:
ذبحنا الدمية.. سال الدمْ.
آهٍ يا أولاد العمّ.
في الأول.. جاء الجزّارْ..
في الثاني.. الولد الغدّارْ
في الثالث..
وانفتح الجبُّ..
ابتدأ اللعبُ.. ابتدأ اللعبُ
ابتدأ الـ..
صاموتٌ
لاموتْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تحكي.. فتموتْ!! [1]

اش.. ش!!
ممنوعٌ أن تضحك يا ولدي،
ممنوعٌ أن تحكي.. أو تبكي..
إنّ الدركي..
مرسومٌ فوق البابْ!
......
فقلْ أيّها الرجلُ العربيّ..
أتحمل هذا الصليب،
تطوف العواصم،
تقتل نفسك فيها انتصارا ؟
رمادٌ لوجْه الحضارةْ
إذا كان فيها الشهيد، يموت انتحارا...
....
قمرٌ صامتٌ
وقتيلٌ.. وذيبْ
وطفلٌ يكشُّ الذباب عن الجسد المستريبْ،
وظلّ صليبْ..
ظلّ صليب ما كفى؟
ظل صليبينِ..
ضحيّةٌ تقتل بالدينِ
.....
وقد كنتُ أعرف،

[1] لعبة يلعبها الأطفال في العراق تتلخص في قدرة أن يتحكم الطفل بامتناعه عن الكلام مهما حدث، فيطلق أحد الأطفال صيحةً ويقول: ((صاموت لا موت عَ الدكة يموت اليحكي)) ومن يتحدث بكلمة بعد هذه العبارة يكون خاسراً.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أنّي إذا شئت،
أبدلتُ بؤبؤ قلبي،
وألقيتُ عني الرداء الذي لونه أرجوانْ..
وقد كنتُ قستُ ارتفاع صليبي
وقدّرْتُ قامةَ روحي..
ولكنهم أخذوني،
وأسلمتُ للموت، قبل الأوانْ
وقد كنتُ في وحشة الصلب،
أرنو إلى القدس،
أبحث عن مسكنٍ لي بها..
... وأذكر:
إنك بيتي..
وأن على بابنا جرساً للمحبّينَ،
أقرعه
وأقطع سبعَ خطىً للسرير
وسبعَ خطىً للوداع الأخير،
وأكمل فيك عناقي..
لكن يهوذا، يقف الآنَ على قبري،
والزيتون اسْودَّ،
ولم يتبقَّ، بتلّ الزعتر..
غصنٌ أخضر..
.....
إنّه قمرٌ قاحلٌ
وترابُ
وهرّ، على كتفيه غراب
وأذكر:

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ينحدر التلّ يميناً حتى البحرِ
ويتّجه التلّ يساراً، حتى جبل الزيتون
ولقد كان الحكماء يقولونْ:
-من يدري؟
قد يكبر تلّ الزعتر
فيصير عواصم للوطن الأكبر
أو..
قد يصغر هذا الوطن الأكبر
حتى يصبحَ بيت صفيحٍ،
في تلّ الزعترْ..!
لكنما:
عشرون خنزيراً حديدياً
يرعون في مساكن التلِّ
لم يتركوا في البيت إلاّ الصمت
وقمراً للموت..
فيا قمر الموت، أيّ العواصم تصلح للشهداء؟
ظلّ صليبٍ ما كفى؟
ظلالُ صلبان
يا نجمةً تُقتفى
إنّا غريبانِ...
قد اغترب الموت
واغترب الشهداء،
فما برحوا في انتظار الأوامر..
وا أسفاه:
فإنّ الأوامر تصدر واضحة:
أمر ملكي..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

" قرّرنا أن تتحدّد سكنى كل الشهداء
أمواتاً كانوا..
أم أحياء
في تلّ الزعتر..."
- هل يشملني الأمر؟
.... سألت الموظّفَ
أسلمني ورقاً..
وقال: اعترفْ.
قل لنا...
أيَّ موتٍ تشاءْ
وفي أيّ عامٍ دخلتً مؤسسةَ الشهداء
وأين هويّتكَ العربيّةْ؟
ومن هم بنو عمّك الأقربون
ومن كنت في ما مضى؟
ومن ستكون؟
ومن؟
ولمن؟
وبمن؟
ولماذا؟
لماذا
لماذا
لماذا؟؟؟

11 شباط 1978

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الشبيهة

في الطريق المؤدّي إلى بيتنا،
كنتِ تمشين مسرعةً،
وحين تريّثْتِ كي يعبرَ "الباص"،
طالعني نصفُ وجهك،
فاختلطَ الخوفُ والحبّ،
وارتبكتْ خطواتي
......
وقفتِ...
لقد كان بينك والباب،
خمس خطىً..
خطوة
خطوتين
ثلاثاً
.....
.....
ثلاثين..
يسقط ريشٌ من القلب،
فوق التراب الحزين

5 تشرين الأول 1976

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

حالات

حالة 1:

يبتاعِ الرجل المجهول
علبةَ تبغٍ وثقابْ..
يذهب للمقهى..
يجلس عند الباب
......
يأتي النادل يسأله:
-ماذا تشربُ؟
شاياً أم قهوة؟
يرتبك الرجل المجهول
ينهض...
يجتاز الباب
يترك في موضعه،
علبة تبغ وثقاب..!

كانون الأول 1977

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa

حالة 2:

تنطفئ الأضواء
يتبادل بعض المدعوّين أماكنهم
....
لحظات..
ثمّ تضاء القاعةْ
ينظر كلّ المدعوّين إلى الساعةْ
تضحك سيّدةٌ
تضحك ثانية..
يُسمع في ناحيةٍ ما
صوتُ بكاء..

كانون الأول 1977

حالة 3:

امرأة تجلس خلف الشبّاك
تتأمّل طفلاً يأتي من عمق الشارع
.....
طفل يأتي من عمق الشارع
يرنو لامرأةٍ تجلس خلف الشبّاك..
....
سيارة شحنٍ،
تعبر بين الشبّاك

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

وبين الشارع
والآن
المرأة تنظر من خلف الشارع
لا طفل ترى يجلس في عمق الشبّاك
......
الطفل يحدّق من خلف الشبّاك...
لا يجد امرأةً تجلس في الشارع

كانون الأول 1977

حالة 4:

على الرصيف اليمين
في زحمة السائرين
يمشي فتىً
مرتبكاً
في يده غصنٌ من الياسمين
.....
في الجانب الآخر
صبيّةٌ حسناء
تسير بين الناس في استحياء
....
ظلاّ يسيران إلى أن وصلا المعبر
فاختلطا في زحمة العابرين
....

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لم يلبثا أن ظهرا بعد حين
كان الفتى على الرصيف اليسار..
....
وكانت الصبية الحسناء
ذاهلة في زحمة السائرين
في يدها غصن من الياسمين

29 نيسان 1977

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

القرابين

(يوم التأميم)

قديمٌ دمي..
وطنٌ سكنتْه السلالاتُ
كانت معابدُهم، تتقاسمني
والقوافلُ تعبُر جسمي
إلى مدن الأكديّينَ..
يا عابرِين استريحوا هنا،
واقدحوا قمراً،
إن "سرجون" تعجبه في الظلام القناديلُ..
ولتُنبتوا شرراً، بين فكّيْ زنادٍ..
وهاتوا مصابيحكم..
فسيورقُ زيتي...
لقد سَكَنَ الحبُّ في رحِم امرأةٍ،
والنذورُ اطمأنّت، وقرّتْ،
كما تستريح الزهورُ على الماء..
لا تنبسوا.. فهو مستغرقٌ في انتظار الولادة،
مُستسلمٌ للحضارة..
.... يا امرأةً لا تُبدّلها السنواتُ..
خُذيني إلى المعبد البابليّ
ومُرّي بمائي على عتبات المذابحِ،
مدّي إلى لهفتي بُنصراً مستريباً
وذوقي:

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

هو اللبنُ الأسودُ المرُّ..
والذهبُ الأبنوسُ..
سلاماً: ستورقُ كلّ القناديل مني..
ويومضُ زيتي..
... قديمٌ أنا..
وطنٌ، خوّضتْ في سواحله السود أقدام كل الخيام،
وياما استُشرت على الثأر بالنارِ..
كانت تضيء المضاربُ..
كان السرادقُ ينهض بي لغةً، وقصائد للحرب...
واعتمد الزيتُ بالدم،
صار الجنينُ الذي يتحرّك في وحينا عربياً..
فلا تسألوا "الفارس العربيّ" على سرّه..
إنني الشاهد الآن..
وهو هزيعٌ..
رأينا الفوارس تلوي أعنّتها في مضاربنا،
واحتكمْنا:
أيغسلُ (عنترةُ) الآن وجههُ،
مستسلماً للحضارة والزيتِ؟
يا امرأةً، لا يبدّلها العاشقون،
لا تنبسي..
أزف السرُّ
واجتمع الشهداءُ،
ملابسهم ناصلات،
وعُرّي نذرٌ على جوعه،
فاسمعوا:
... تجيء القرابينُ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أعناقُها المثقلاتُ محمّلة النذور،
يجيء الترابُ الذي بيته،
ذهبٌ، وضحايا..
تجيئين أنتِ معي،
أنتِ أمُّ الهلاهلِ، والجرسِ الحلمِ،
والعرسِ، والعرضِ،
موجعةٌ أنّةُ البدويّ، لعرضٍ يكابده..
ويوجعُ زيت الولادة،
يوجعُ زيت الرجولة،
أيّ الملامح "يوم الخميس" أحبُّ؟
وأيُّ أقبّله؟
زوجتي، أم صديقي..
ووجه رفيقي..
وكل العراق،
إذا أمطرتْنا السماءُ، رفاقْ؟
كأني أنا الختم فوق العيون التي استلبوها..
كأني أنا الحارس المتيقّظ في ساعة الصفر..
بيتي هو الحقل..
ما تسمعين؟
لقد هدأتْ سَورةُ الزيت في الحنجراتِ،
وما هدأتْ سَورتي فرحاً..
فقُومي نحلّ لكِ الشعرَ فوق المخاض..
الدم والأرضِ..
قد هدأتْ في "الخميس" السنونَ التي انقطعتْ..
وتورّد وجه الذي ماتَ
صار الحداد الذي ترتدينَ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

صبياً، له الزيتُ والوردُ والتمر
تمر الشهيدْ..
... تحمّلني الوفدُ،
كنا قرابينَ أعوامنا
واحتشدنا، لوجهٍ له ومضةُ الزيت-شرقيةٌ
ومفعمةٌ بالعراقِ..
اقتربْتُ، أمصُّ أصابعه.. أتقرى الرجولةَ..
مفعمة نبضي البدويّ، لعرضٍ يمنّعهُ
وينبضُ زيتُ المحبّة..
قبّلتُ وجهكِ
أحسستُ فيه المودّة
والغضب العربيّ..
فيا عابرين.. استريحوا هنا..
سننسى.. ونذكر..
أني أنا الشاهد الآن..
ها.. بنصري، يتذوّقُ من لبنٍ عسلٍ،
وروحي معلّقة بالحضارة..
والسعفِ..
والفرح العربي..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أنا.. لا أباع!!

زُرْنـي.
فإن الليل يتعبنـي..
ولقد سكنتُ الشوق مغترباً..
وكدتُ أموت من فرط التمنـي[1]..
الأمنياتُ، اليوم رحلي..
ما تزال تخبُّ بي،
كذباً
فلا تُقصي.. وتُدني..
حتى كأن السجنَ،
أقصى ما أُطيقُ،
فهمّتي القعساءُ
أنـي، ما أزالُ
رهين سجني..
وتعرّق الشارونَ
ذاقونـي،
حليباً، علقماً، مرّاً
فلما استيأسوا منـي،
شرونـي..
أغراهمُ استنكاف طبعي
واتّزان سريرتي..
وبأن بي جنفاً
عن القيل المنابزِ

---

(1) عَدّل الشاعر في هذه القصيدة ونشر أجزاءً منها قبل وفاته بأيام وأبدل كلمة (التمني) فأصبحت: (التجني).

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

والمُكنّي..

أنا [1] لا أُباعُ..

محمّدَ المحمود، [2][2]،

والتجار، ساموني،

وباعوني،

وكنتُ تجارة في

السوقِ،

معلنةً..

وكنتُ..

فإنْ رخصتُ عليكَ،

بِعْني..

ماذا يهمُّ؟

لقد تكاثرتِ الجراحُ،

بجسمٍ مَيْتٍ...

لا لعمركَ..

فالجراحُ، هي المضيّعةُ المواتُ..

وما يموت الجسم مني...

والقلبُ عافيةٌ..

ونبض القلبِ-لو علموا-

هو الغَرِدُ المغنّي...

حاشاك..

إني لا أُبدَلُ جلدَ وجهي،

حين يُشتي الفصلُ..

لا..

أبداً- وحقّكَ...

---

[1] أضاف رحمه الله كلمة على هذه العبارة لتصبح : أنا لا أبيع ولا أباعْ..

[2][2] إن الشاعر في هذه القصيدة يخاطب صديقه الشاعر مظفر النواب، و(محمّدَ المحمود) هو (مظفر النواب) كان الوضع السياسي لا يسمح بذكر اسمه في تلك الفترة عندما كتبها في العراق.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فالندوب به، ندوبي..
والجراحُ- سلمتَ - بعضُ ملامحي..
وأقولُ:
ها قُبحي..
وحُسني..
ولقد حيكتُ..
وقد حيكتُ..
وكان أصحابي،
يهزّون الرؤوسَ..
دُمىً..
فأُدركُ.. أننا الغرباءُ...
يا لثمودَ..
إن "الصالحَ" الرجلَ الحقيقيَّ،
الغريبُ.. هنا..
ووجهكَ..
شوق كل الليل
يا مصباحَ سجني..
إني هربتُ..
وملءُ راحلتي التردّدُ
أين تقذفني،
وتنفض متنها المبهوظَ
مني..
زُرْني..
تعبتُ..
أليس لابن الناس من حَجَرٍ
يوسّدُه
ويرخي فوقه التعبَ المقدّسَ
ريثما،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يتفجّر الميقاتُ
بالرعدِ المُرِنّ
زُرْنـي..
أخافُ..
تكاد يائسةٌ
تفلُّ عزيمتـي..
والموتُ..
كلّ الموتِ، عندي،
أنْ أهونَ،
ولا ترى، الميقاتَ، عينـي...
رؤيا الرجال الصادقينَ..
أُحبُّكمْ..
إنـي أحبُّ الصـادقينَ..
وقد مللتُ من الجلود النافخاتِ
الناصباتِ...
وحشوْ ما في الجلدِ،
من بَعْرٍ.. وتَبْنِ
إني مللتُ..
وقلتُ: لا..
حاشا العشيرةَ
ليس هذا الرهطُ منّا..
الحابسونَ الريحَ،
تنفخُ قلبَهم، وَرَماً،
فإنْ عُصروا..
فَسَوا، خوَراً، وجُبنا...

حاشا العشيرةَ..
قال قائلنا: اسكتوا..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

إن التشكّي،
يوهنُ العزماتِ...
والدنيا، مُدَوَّخةٌ..
سكتْنا..
فاستشاط الغيظ في أحشائنا..
بالرغم منّا..
أمحمّدَ المحمود..
يا رجلاً حقيقياً..
أعِرْ قلقي نياط القلب
ولتعصرْ حنينكَ..
إن هذا الليلَ،
إن جاورتَه،
أصفى.. وأحنى..
قلبي، على هجعاته،
اكتشفَ السُرى،
حذراً،
ومُهري،
نصف يخطو..
والنسائمُ، بنتُ عمي..
والولائمُ،
خلف هذا الليلِ،
والبارودُ، والأعراسُ..
والختَنُ المحنّى..
....
يا بنتَ عمّي...
يا هلا..
بالسيفِ جئتِ..
يا بنتَ عمّي.. يا هلا.. بالعاجِ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مقبضه، الذي من عظم ترقوتي..
ومسرى حدّهِ الومّاضِ..
سمتي..
إني أراكِ، اليوم
مُقبلةً،
محمّلةً عبيرَ أحبّتي..
وشميم بيتي..
وتقرُّ عيني..
إذ أشمُّ على عيونك،
نكهة اليوم الذي،
أوصى أبوكِ الفحلُ،
نرقبُ أن يجيءَ..
إذا أتيتِ..
وقد أتيتِ...
فيا هلا
همجاً طرقتِ...
همجاً طرقتِ..
فلا تراعي..
واقبليني..
موحشَ النزعاتِ، مختبلاً
حزين الروحِ،
كالنسر الذي،
رمدتْ نواظرهُ، من التحليقِ
والتحديقِ،
طال به المدى..
والشوقُ، أطولْ..
فلتوقدي، مصباحك السحريَّ
تنطفئ الشكوكُ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ويكذب الحدس المغفّلْ..
يا بنت عمّي..
قرّبي..
مُسّي جدارَ السجنِ
واتّكئي على القضبانِ
نُصدقْكِ الهمومَ،
وتُصدقينا الصدقَ:
- أوصوا الخيلَ. لا تصهلْ..
وأرخوا الوقع، للفرس المحجَّل..
إنّا نعدُّ الخيلَ للفرسانِ
والزادَ المملّحَ.. والتمائمَ،
فاصبروا..
ولسوف ينفلتُ الزمامُ...
ولسوف...
-ماذا؟
أيّها الليلُ المريبُ
الحندسُ.. الوسواسُ...
زيَنْ للقبور السود، ما ترتابُ...
وليتعذب العميانُ بالشكِّ الرهيبِ
أغمضْ عيون التافهين،
إلى العمى.. يا ليلُ،
ولتزحفْ على الجبناء
بالشلل العَضيبِ
حاشا العشيرةَ..
بل بها...
فليصفْ منها الوجهْ...
ولتسقطْ زوائده المريضةَ،
واقطعوا الأغصان،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يابسةً،
عن الأصلِ الرطيبِ..
أمحمّد المحمودُ
واقطعْني..
إذا جفّت عروقي،،
واصنعنْ مني عصاً..
حرنتْ بغالُ الخابطين،
على الدروبِ..
واعتبْ عليّ،
محمّد المحمودُ
إن ندبتْ مزاميري،
وناح اللحن في قصبات روحي،
واسترحت على جروحي..
أو طربتُ إلى التفجّعِ والنحيب..
أمحمّد المحمود
والعَنَي، إذا كدّرتُ صفوَ حياض أهلي
واختلفتُ،
وشاب محضي الغشُّ،
واستأنستُ للتطبيلِ
والترميزِ
والهزجِ الغريبِ...
* * *
الليل ثانيةً.. هنا..
الليل رابعةً.. وعاشرةً هنا..
الليل طعمهُ،
في عجين الأرملات..
خبزنَ أرغفةً
موشّلةً سخاما...
الليل نام على أسرّتنا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وضاجعه الزناةُ..
ومسّحوا، لما أفاقوا،
فوق عورته الذماما
الليل، في أطمال مرضعةٍ
تقمّط مضغةً،
لحماً،
نمت في رحمها،
نجساً حراما
عضت غلاصمه المشيمة
قطّعتْها..
فانظروا
يا أهلها الخبرَ المدمّى
إن باكرةً، محصّنةً بكم..
ولدتْ غلاما
1965

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الساعة التي تدق دقات كثيرة

دقّت الساعة قلبَ الليلِ، صمتاً يا خُطايا!
احذري أن يوقظ الوقعُ الخفيرْ
فسأمضي، لم تحنْ بعدُ وفاتي
هارباً أحملُ في كفّي حياتي،
فاحذري أن يوقظ الوقعُ الخفير.
شارعُ البلدة خالٍ، عبرتْه القافلةْ،
والمصابيحُ تمجُّ السلّ أضواءً عجافاً ناحلهْ،
وصفيرٌ بارد النبرة: قد راح القطارْ
تاركاً في البئر حاناً.. وسكارى
قطعوا العمرَ انتظارا
يسألون الليلَ هل يأتي النهارْ؟
ويردّ الصوت في البئر صدىً،
ويدقّ الليل عظميه: "تمام الواحدةْ"!
كان في الشارع أسمالٌ وليلٌ وصبايا،
كان فيه كلّ ما يطلبه التاجر: خمرٌ وخطايا،
علب مصبوغة الخدّين،
هيّا، سوف أمضي!
من هنا دربي لإخواني، لأرضي؛
إنني أنفض أسمالي على باب المدينةْ،
إنني أمضي حزيناً؛
فأنا، يا ليلُ، لا أحيا طويلا
في سوارٍ من حديد.

* * *

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

كنتُ في داري وفي أهلي ولكن
دون أهل دون دارِ
جائعاً أبتاع أرزاقي بعاري.
كنتُ دلواً فاغر اللهفة في البئر الكبيرةْ،
خادماً في حانة الكهف، وفي مقبرتي كنت خفيرا
كنتُ شيئاً تافهاً، يا ليلُ:
أسمالاً حقيرة!
كنتُ في أهلي وداري
دون أهل دون دار!
* * *
من هنا دربي، ففي الميناء مازالت سفينةْ،
ليس غير البحر يؤوي الهاربينا.
أقلعي بي لبلادٍ نائيةْ,
إن قلب الليل دقَ "الثانيةْ"!
* * *
أيها الدرب التفتْ آخرَ مرّهْ!
هذه ضيعتنا، والتلَ، والنخلُ الجميلُ؛
لم تزرها الشمس مذ ودّعها ذاك الأصيلْ،
لم أذق منها حياتي طعم تمرهْ؛
فلتكن آخرَ مرّهْ
ثم نمضي،
يحسب الليل خطانا، ويدقَ "الثالثةْ!"
* * *
لم تنم ضيعتنا السمراء، شدّوا مقلتيها
بجذوع الجسر، كم جسر أقاموه عليها
أيها الجسر الذي امتدَ صليبا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أنت لم تحمل حبيبا،
أنت لا تُغضبي إلى شبّاكه عند المسا
هيّنا تمضي، ولكن كيف تمضي؟
يا طريقي..
حدّ عن الجسر الحديدي..
أنا لا أعبر من فوق القيود
إنما نمضي معا.
ووشيكاً سيشدّ الليل قيد "الرابعةْ"
* * *

يا بوادي،
يا قفار الضيعة الخضراء، هل هذي بلادي؟
أين قومي وخيامي؟
أين يأوي الضيف في قلب الظلام؟
أين يُسقى الماء ظامي؟
لم أزل من ألف آلافٍ أنادي
فيردّ الليل أصداء القفار اليابسةْ
هازئاً يعلن موت "الخامسةْ".
* * *

ومضى الحوذيّ، يا حوذيّ قل لي أين تمضي؟
هذه الدرب التي تسلكها أيّان تفضي؟
إن أصحابي على ذاك الرحى.
ألرحى؟
هل هوّم العمالُ؟ دوري يا رحى!
اسحقي الغلّة والتمر. اصنعيها أسلحهْ،
واصنعيه ذلك المسخ الذي شدّ السبايا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تاجر العاهات بيّاع المنايا..
هيه، يا عمّالُ، دوري يا رحى!
* * *

إن دربي صاعدٌ للشمس، للعرس الكبير
تاركاً ضيعتنا السوداء في قعر المسا
تسحب الناعور أرماقاً جياعاً بائسةْ.
سوف أمضي حاملاً بذري وفأسي
فلقد سوّرتُ أرضي، ولقد أنميتُ غرسي،
وغداً أحصد أحلاماً كبيرةْ
ويدقّ الصبح دقاتٍ كثيرةْ!

1957

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الخوف..

وبعده..
فقد مللتًُ طعمَ الدارْ
ووقعُ مقلتيك،
يا أمّاهُ، فوقَ مُقلتَيْ..
مللتُ يا أحبابُ،
خوفها عليْ
شحوبَ عينيها الحزينتينْ...
تناشدانني،
إذا خرجتُ:
أين يا بُنيّ أينْ؟...
الخوفُ عند بابنا
وفي ثيابنا...
يا أمهاتنا..
أصنعنَ لنا تمائما..
من النذور،
والشموع،
والدما...
واقطعنَ بالصلاةِ الليلَ والنهارْ....
* * *

مدينةٌ..
أعرف دارَنا بها..
وهل أعزُّ في القلوبِ،
مثل الدارْ؟
من عطفةٍ، تميلُ عند البابِ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أو حجارةٍ،
تنبو عن الجدارْ..
مما كتبناهُ،
على جدرانها،
كعادةِ الصغارْ..
أغمض عينيَّ،
أنا.. أدقُّ بابَها..
أحسّ مصباح الطريق،
فوق هامتي،
ووقع خطوكِ الحزينْ،
خلف الباب
يا أمّاهُ
وتمتماتك الخضراء بالصلاةْ...
الله...
صلّي.. لكل الناس.. يا أمّاهْ..
فالخوف عند بابنا..
وفي ثيابنا...
* * *

كم أشتهي..
لو أنني...
رأيت وجه قاتليكْ..
رأيت وجه قاتلي
لمستُ مقلتيه في أناملي
كمسّة الأعمى..
كلمسة العروسِ للحلي...
لم يُعطَ لي..
أن أجمع الأعداء في جنازتي
بالرعْبِ والندمْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأن أمدّ نحو القبرِ..
خيط دمْ..
من كل شارعٍ يمتدّ في مدينتي..
فقد مللت.. طَعم الدارْ..

الحلة 1960

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

شمة أفيون [1]

في أية مدينة أنا،
أيها العابرون، أين نحن؟
لو كان هذا بلدي، عرفني أهلي
لو كانت هذه مدينتي.. وجدت على الرابية منزلي.
لست في حيّنا..
أيها العابرون لست منكم.
العابرون صمّ. أهل المدينة من حجر
قطعوا آذانهم، وشيطان استلّ من فمهم ألسنتهم.
-أيّ إلهٍ طردكم من الجنّة؟
أيّ حقد سحقكم باللعنة
أيّ سوط نقش هذا الوشم على ظهركم؟
أيها البواب، أين أنا؟
أيّ عالم هذا؟
أين أنتَ..؟ ونحن؟
-ضجيج السواعد قوي في المعمل فلا أسمع
ارفع صوتك أيها الغريب.
-أيها البوّاب
أين أنا؟
أين أنت ونحن؟
-المشنقة تبتلعها الشمس
فلا تظهر إلا في الظلام
إنها تخجل من ضوء القمر.

---

(1) قصيدة نثر، نشرت في مجلة شعر صيف 1962م.

«AlfYaa منشورات «ألف ياء»

-أيها العابرون،
إن كنتم من آدم فأجيبوا.
أضعت طريقي ولا أدري إلى أين أسير
ألا تعرفون الحقيقة؟
-لا ترفع صوتك فيسمعك الخفير
فقد تزوّج الأمير الحقيقة!
من زرع هذه الجموع في العراء؟
من زرعها وما حصد؟
-السماء صافية أيها الجمع
صافية. لا غيمة فيها
فلماذا تفتحون أفواهكم؟
-سيعتصر الجبار هذه الزرقة
وستسقط قطرات في أفواهنا
هكذا قال الكاهن،
وهكذا سمعنا في المعبد،
-أيها الطفل..
أليس في ذدي أمك حليب؟
لماذا أضعت شفتيك؟
ولمن أهديت معدتك الصغيرة؟
ضجرت أمي من بكائي
فقطعت ثدييها
وباعت فمي، فلن ينبت لي أسنان
ولن يتحرك لساني بكلام.
-صوتك مرتفع.
لا تحدثني!
ابتعد. وإلا أكلك الخفير!
هربت...
من الشارع هربت.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

كصبي فزع من الوحش
وكفتاة يتبعها المغتصبون.
إلى بيتنا هربت.
لو كان لنا بيت
ثقب في خندق
وسرداب في خربة مهجورة.
أوصدت الباب،
فأنا وحدي
غرفتي ترتعش كالشتاء
وتصمت كالأبدية.
سريري تابوت مفروش
ولحافي كالشهوة
أضاجع سريري كل يوم
أضاجعه فلا يحبل
كل يوم أقبر فيه نفسي
أوصدت الباب
في المساء أوصدت الباب
ونمت بلا صلاة.
عند رأسي مسيح معلق
صلبته أمي..
وعلقته فوق رأسي.
عيناه باردتان كالوحدة
وفمه مطبق كالألم.
من صلبكَ أيها المسيح؟
من صلبك؟ تكلّم!
لن يبتلعني الزمان
ولن تلتف حولي عقاربه!
سأسحق ساعتي بأسناني

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وسأبتلع دقاتها الكسلى...
دفنت الزمان في بالوعتنا
وقطعت أذنيّ فلن أسمع!
أهُناك من يناديني؟
-من يعلمني كيف أكون إنساناً؟ أو من يقول لي من أنا، لأعرف نفسي وأموت؟
ألا يعود أبي فأحدثه؟ ألا يعود، فأسأله من أين جاء بي ويصدقني أين ذهب.
ذهبت إلى غرفته، وطرقت الباب، طرقت فلم أجده، ووجدت عظاماً، سألتها فلم تجب.
ألم يعد في الوجود لسان؟ من اقتطف هذه الألسنة؟ وإلى أي بلد صدرها؟
أوصدت الباب، وعن يميني سكايري، والمنفضة مليئة بالأعقاب، لكن حنجرتي تتألم وصدري يضيق كالبئر، وأسعل فأبصق دماً وألطّخ منديلي، فبأيّ دمع تغسله أمي؟
الدخان لذيذ، لكنه يقرض رئتي. وشفتاي تنتقمان منه بحقد.
إذا انتهت سكايري، فمن يفتح الباب؟ من يفتحه إذا انتهيتُ ومن يحملني إلى المقبرة، لأن جسدي سينتن.
أيّ خبيث وضع النهاية للأشياء؟ من علّمها أن تنتهي؟
الوجود أقوى من النهاية. لن أفتح الباب. فليطرقه أصدقائي. ستقول أمي "ليس هنا" فيبحثون عني وينسونني، فلأصدقائي زوجات وأطفال.
سأسكر وأنسى. سأقهقه ملء صدري، وسأرقص عارياً. سأرقص مثل هندي موتور. وسأهز مثله أعضائي. وسيقول الناس "مجنون" ويحبسونني في زنزانة، فأعرف وجه سجاني. سأشتري ملامحه بعقلي.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الباب موصد. أيتها الشياطين، كيف خرجت، وكيف عدت إلى مكاني؟

سرت في الشارع ولم أخف، ومرقت بين السيارات ولم تدهسني وما التقيتُ بصديق، ولم أصافح أحداً.

رأيت بقالنا نائماً على بضاعته. لم يساومني. فقد سرقته!

الناس يسيرون بلا أقدام، ويتكلمون فلا يسمع لهم صوت. أما أنا فكنت أضحك، وترتعش في يمين قنينتي.

كيف عدت ولم أته؟ كيف عدت وما تبعت الهاربين؟

... أغلقت الباب. سأفتح الكوّة، وعما قليلٍ يزورني القمر فأقاسمه خمرتي.

سأكفّن نفسي مع أنثى، وأبقى ساهراً حتى يودّعني القمر.

أنا ثمل ولكني أعرف نفسي وأعرفكم يا أصدقائي. لشد ما أنتم عراة! أليس في حديقتكم ورقة تين؟

....

لا ترم العقب أيها العابر، بل أعطنيه، وسأصلي لك كثيراً.

... طربٌ أنا، فمع من أرقص؟ من أحدّث بهذياني؟

بعثت أمي لتخطب بنت الجيران، فقد رأيتها تغتسل وعرفت ماذا تفعل. عادت أمي وفي يدها رماد.

جارتنا حذاؤها من ذهب، وفخذها مصقولة بالدراهم، والشهوة تفوح من تحت إبطها.

أما من هنديّ يعلّمني السحر، فأسحر جارتي؟ لترقص معي.

ابتلعت ألف لحن، وعروقي مشدودة كالأوتار.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

جارتنا تصفر لي عند الباب. أيتها الشياطين هل أفتح لها؟
-أنا وحش، فابعدي. أنتِ لا تعرفين الظلام ولم يلسعك الفراش بعد.
-افتح فقد نضج الرمان وانتفض العنب متفجراً من الصيف.
-افتح، فقد نام أبي. رأيته من شبق الباب، وقد التحقت به أمي.
-أنا عفن ولحيتي طويلة، وليس على منضدتي عطر.
-أنا مخمور قذر، شربت نهراً من الخمر ولم أغتسل منذ سنين، وأظافري طويلة كالقضاء.
-إن لم تفتح سأتمطّى على قضبان النافذة، وسيلعنك دمي.
أوصدت بابي فغرفتي مقبرة، وسريري نعش، ولحافي كفن، ولن يبكي عليّ أحد!
"شهادتي" معلقة على الجدار. من يخلع صورتي عن هذه الورقة؟ ذهبت أبيعها فما اشتراها الباقل، وما أعطاني بثمنها بُلغة.
سأموت. من يشتري هذه الورقة؟ أليس من سمسارٍ يبيعها في المزاد فأشتري بثمنها كفني؟
أوصدت الباب فلن أفتحه، ففي رتاجه كهرباء، ومزلاجه عنيد كالموت.
تلفّت فما وجدت أحداً، حتى نفسي ابتلعتها الوحدة، وبصقتها على الجدران، فلونها وسخ.
من وضع المرآة على الحائط؟ من صلبها بمسامير، وقتل روحها فهي كل شيء؟
دسست وجهي في المرآة، بَقَرتُها، فما أجهضتني.
أين أنا؟ أيتها المرآة. من أنا؟ هل تعرفينني؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

متى حبلت أيتها البغيَ؟ من قذف في أحشائك هذا المسخ؟
عيناه باردتان كقطبين، تافهتان كبصقة على رجل.
مجنونة أنتِ، فما هذا وجهي. من أية مقبرة جاءني هذا الشحوب؟
منخراي كمدخنتي سفينة، وأنفاسي تتكاثف دخاناً.
تكذبين، أيتها المرآة، تكذبين.
سأحطمك، سأسحقك، فأنت زجاجة! وسأبتلع كالمسعور شظاياك.
سأحطمك، من يدري بجريمتي؟ فالباب موصد أيتها المرآة!
اسمع عواء المدينة، فالمدينة وراء بابي، يتمطّى عليها التاريخ وتسكر ببول الثعالب، وشبابها يضاجع الفراغ.

....

سوطه قصير كالحياة، ضعيف كرمق عجوز، فكيف يكتريه الأمير البدين؟

....

بضاعتك قذرة أيها البقال. رأيتك تنظفها بلعابك، وخفية ذقت اللبن بإصبعك، فهو نجس كغريب.

....

أصابعك مقضومة أيها العامل، فكيف تصنع الحذاء؟ وكيف تلبسه بنت الأمير؟
سأبتلعه إن طردتني. سأبتلعه فتنبت أصابعي. وسأحفر بها مليون قبر.
-أيتها العجوز، لا تقرأين لي كفي؟ ألا تلمسين خطّ حياتي؟
-خطوطك بلهاء كسحري، وسحري خبيث كالمال، يا صبيّة.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

-أيتها العجوز، يا ساحرة، ألا تقرأين لي فنجاني؟ تركني أميري، فهل يعود؟ فوسادتي تأكل نفسها. أستحلفك بكل الشياطين.انفثي لي ورقة، وسأسقيها أميري بمدامعي.
-خطوطكِ طلسم مخنث، يا صبية، وكفك يابسة من المكانس.
-أمي ماتت، فدارنا وسخة بالذكور، أشطفها كل يوم، أشطفها فلا تنظف.
-الأبيض لن يكون أسود، والحليب لا ينقلب إلى ماء قولي "إنشا الله" يا صبية.
-"إنشالله" يا جدتي "إنشالله". هل سأشبع؟ أيمتلئ قدري بالرمق؟
-أبيض، أبيض لن يسود. والأسود لا يغسله الصابون.
-شدت شفتيك العافية، يا جدتي... "إنشالله" ألف "إنشالله" العجوز نفثت في سرّتي. سأتزوج، ولن أكون عانساً.
مهر حبيبتي دموع، فمن يعلمني البكاء؟ من يعلمني، فأدعو له بحبيبة؟
-دموعي محرقة، يا حبيبتي، وقطراتها لن تغسل لك وجنتيك،
-بدموعك أغتسل عند الفجر، وبها ألهو، فأعرف أنك تحبني.
-هل يباع الدمع في السوق، فأشتريه؟ ألم يعلّبه التاجر الأوربي؟
-أنت قاسٍ، يا حبيبي.. أنتِ أقسى من الحرمان. عبثاً تمتص أجفاني سأبحث عن غيرك.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

-شربت أمي عبراتي، شربتها يا صغيرتي وأنا طفل، وسقتني الحليب عوضاً عنها، فابتسمت زهرة على فمي.
الباب موصد، ولن يراني أحد. أيتها الكبرياء، لماذا لا أبكي؟
-غرفتك باردة، وستجمد دموعك. تتساقط فتأكلها الفئران فكيف أزيَن بها عنقي؟
الباب موصد كصخرة، والجدران تصغي بلا لسان: أتسمعني يا إلهي؟

....

إن أمت، فأين أقبر؟ أي دود لا يتقزز مني؟ وعبثاً تغسلني أمّي.
سرّتي مشدودة بالرحم، فمن يسند لي رأسي؟
الجنازة حملها المشيعون، حملوها، فأكلت أكتافهم. ثقيلة، ثقيلة.
على كاهلي. أيها المشيعون، ليتكم تحملونني، فأنا لا أستطيع حمل جثتي.
في الهوة نزل الحفار، نزل ولم يقبر نفسه!
-من ولدك أيها الحفار؟ أي رحم مترب لفظك؟
يدك خشنة كمنشار، وملامحك أقسى من القبر، وفي ملابسك يهرش الدود.
-قديم أنا كالحياة، كالتراب، ولن يلتقمني قبري.

....

القبر مضغ الجثة، والميت يضاجع الوحدة، وستنبت فوق القبر أعشاب سيأكلها الناس في أسمارهم.
-ضاع القبر بين القبور. أين دفنتم ولدي لأزوره وأبكي، ونُعول أنا وكنتي وجيراني.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

-القبر لن يضيع، يا امرأة! ابحثي عنه في داركِ، وافتقديه على سريرِ زوجك.
... الباب موصد، والزمان يابسٌ على عتبتي. وحدي، فلن تراني عين، حتى عيني لا تبصرني.
معدتي تمضغ السموم، وأمعائي تمتصّ الأحقاد.
نضجتُ، فكيف أتزوج؟ كبرتُ، فكيف أقبر نفسي؟
-لزفافكَ دعوت الأصدقاء، ودعوت ألف مزمار، واكتريت عشرين حنجرة تزغرد.
-هل مهّدت سريري يا أمي؟ هل أسدلت النوافذ، فلا يشمّنا أحد؟
-اسكروا، اسكروا يا أصدقائي.
-أنا خائفة يا أمي، خجلة، فماذا أصنع؟
-دقّوا للعروس يا عازفين! غنّوا لها فتتشجع.
-أنا فرحة بخوفي، وأتمنى لو يقبرني في فراشه. لكن، قولي، كيف أصنع؟
... في الظلام تنفّست الحياة، وتغامز الضوء مع الضوء مع القدر، وعلى السرير جسد واحد؛ فقد شطرت حواء التفاحة.
الباب موصد، والنعاس أدركني، وتعثّرت بالموت أجفاني وفي عظامي نعيب الشهوة.
كتبت لحبيبتي ألف رسالة، كتبتها، فابتلعتني وما سمعتني فتاتي.
-أحبّكِ كما أحبّ الطعام، وكالنفَس الذي أنشقه كل ثانية.
-أنت غريب يا حبيبي فلن أستطيع. ودينك ليس من دين أهلي.
-قلبكِ من لحم، وفي عروقكِ دماء، وعظامكِ مجنونة كعظامي.
-أخي عند الباب. لا أستطيع. لقد قفلوا على عفافي.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

...... مجنون أنا، ماذا أريد؟ أليس من شيطان أبيعه نفسي؟
فوحدتي معسورة كالحمى، وفراشي أكلته أحشائي.
-إن لم تعودي، فسأبيعكِ بقبلة. سأشتري سواك من السوق.
-غضبك حالم يا فتاي. وشهوتك نسيتها في ثديي، فأين تهرب مني؟
الباب موصد، كيف خرجت؟ وكيف عدت ولم تأكلني الجحيم؟
أنا في الغرفة ملك، أنا إله ما حبلت بين أنثى!
تاجي يمتلكني، وعجلاته تسير بي في كل سماء.
-معتوه أنت فمن يصغي إليك؟ حتى أذناك لا تفهمان ما تقول.
معتوه، لكن غرفتي جنة أبحثُ ثمارها للجميع فهي مليئة بالخطاة.
-اللعنة قاتمة على جبينك حتى دموعك لا تبكي عليك.
-إن كنت إلهاً، فأين مقبرتك؟ أو كنت أميراً، فأين مشنقتك؟
-لو كنت جميلاً كالسوط. لو كنت جميلاً أيها التافهون.
-أيها الشاب تكلّم. ماذا لو كنت جميلاً؟
-لو كنت جميلاً كالكبرياء وكان لي جسم أفعى، وكانت بشرتي كخمرة عتّقها الراهب.
-لو كان ذلك، فما تفعل؟
-لو كنت جميلاً كليلة إثم، وكنت مراوغاً كفراش داعر، وكان جسدي مجبولاً بالخطيئة.
-جميل أنت كشيطان، جميل أنت أيها الشاب، وسأضاجعك حتى أستنفد شهوتي، وأذوق لذة حرمانك.
-لو كنت جميلاً كعذراء تتهتك، وكانت لي شفتا زنجي.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

-أنت إله يا جميلي. أنت ألذّ من عفافي، فلماذا تعذبني؟
-لو كنت جميلاً كالظمأ، لو كنت مجنوناً كنهد أسمر، كفتاةٍ هندية...
-حبيبي أنت تقتلني. أنت أجمل من ليلة زفافي. أنت أجمل من إله. إليّ! ففراشي يئن، ويتألم كامرأة أدركها المخاض.
من شرب الضياء من غرفتي؟ من تركني في العتمة أتخبط؟
أتثاءب ولا يمتلئ صدري، أتنفس وأختنق بالهواء.
وحدتي كناووس في العراء.
أريد!
من يبيعني أرادة؟ من يضعها في قبضتي فتتصلب؟ من يشد بها فمي، فأقهقه كمليون شيطان؟
أنا ضعيف كحصان هَرِم، وإرادتي بعتها للكهنة فسدّوا بها مقبرتي!
من يهبني أرادة كالوجود؟ من يعلمني ماذا أريد؟ وسأقتلع (الهملايا) من مهدها، وسأطعمها للأغوار.
أريد!
من يسقيني الإرادة؟ لأعود طفلاً من جديد وأنشأ ثانية كعفريت، فأبني لي مملكة مجنونة، مملكة لا تبكي فيها العيون..
أريد. أنا مجنون.. فصدقوني- وأتمنى لو صبغت العالم بالحنان،
أعزف لهم بقيثارتي وأسحرهم، فلا يموتون!
أنا ظامئ...
شفتاي نار وخمرتي شربتُها في طفولتي، فمن يبل لساني؟
- لو كنتِ هنا ما ظمئتُ!

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- حبيبي، ادعني فاهرع، سأسقيك من عروقي.
- أنا وحيد، وأغلقت الوحشة بابي. فكيف تزورينني يا حبيبة؟
- مُرني، فأطير إليك. اسألني، ففي حلمتيّ قطرتان.
- من خلقكِ من التواضع؟ أيّ شيطان جعلكِ ضعيفة؟

أحلامي زرعتُها في ألفِ فدّان، وسوَرتْ أرضي بصلاتي. سنحرسها أنا وامرأتي وكلبي.
سأصلّي لها لكي تحبل. سأصلَي، فيرحمها المطر.
-أيها الغريب ما تفعل ببابنا؟ وعلام تتلفت كخائن؟
"زوجتي حلبت بقرتنا وخبزها حار من التنور. قدّمي للضيف يا زوجتي."

- يا صبية! ما اسمك يا صبية؟ بماذا يناديك زوجك الفلاح؟

أنا ملُكِ سنابلُ رشيقة، وجسمكِ مليء كعنقود.
-عيناكَ مالحتان، أيها الغريب. عيناكَ تُرعشان هُدب زوجتي بالخطيئة.
... سمعت أصدقائي على الباب. سمعتهم يسألون عني. وقالت أمي "لقد مات"... واستنجد كل من أصدقائي دمعة!
دموع أصدقائي لعنتني. وهمساتهم أثارت حقدي.

- أيتها المرأة, كيف مات ابنك؟ كيف مات؟ كان كالصبح, وكانت عيناه تبيضان بالحياة.
- لبست الحداد على ولدي... دفن ولدي نفسه بالسرير, فذابت اثره أحشائي.
- حي أنا يا أماه, حي كنبضات المحبة, لكني غفوت رويداً فأيقظني نواحك.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

جاء الجيران, والمعَزّون يملأون البيت. والنجّار احضر التابوت, لمن اشتريتُ حدادي؟

- حيٌّ أنا يا أماه, وحليبك لا يزال في عروقي, يا مرضعتي.
- حبيبي حرقنا البخور. نثرت النادبات الشعور. لقد حفرنا قبراً.
- أنا هنا يا أمي, أنا هنا أقوى من الفناء, أقوى من حدادك المفجوع.
- ولدي. هصرت عيوني, لمن أعددت الدموع ؟ وخطيبتك رسمت شفتيها. والناس في الدار عابسون. كلهم يتنهد كالحسرة.
- أحضري الإبريق, سأغتسل. سأحلق لحيتي وأتعطر, وسأستحم بالشمس. يلفني الضياء, فلا أخجل. وسأطرد جميع المعزين وأبحث عن حبيبة.
- ولدي, لا تخجلني! لا تُخجل شيخوختي. حبيبي لا تصمني أمام الجيران!
- أنا هنا يا أماه. لقد ولدت من العدم. ويد مباركة أيقظتني.
- متُ لأجلي يل صبيّ. أستحلفك بالأمومة, وبكل دمعة ذرفتها لأجلك.
- حياتي تفور كبركان. وإدارتي تتفتح كالعنفوان... لن أموت يا أمي.

....

فتحت بابي, فأنت عظامه, وتثاءب مزلاجه في يدي.
غرفتي نتنة كالخيانة, وجسمي يتشوق إلى الماء.
أنا صامدٌ, أنا قوي. عروقي مشدودة إلى الحياة, وبراعمي أقوى من الصقيع.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- أين ذهب الشتاء يا حبيبتي؟ في أي كهف اختبأت ثلوجه؟
- عربتنا يا حُبي عند الباب, والمرج تلبسه الحياة. والربيع سيقود مركبتنا.
- سأبني لك بيتاً على الشمس ... وسأعود العالم إلى وليمتي.

وفي عرسنا, سنرقص إلى الأبد.

الموصل (1956)

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

شمس المطر [1]

زهرتان ، تبقى أذن ؟
زهرةٌ فوق عينيك طيبة ..
وأخرى على موضع القلب ..
ثم يمرُّ مساء حزين .
وفي ساعة،
ستمشطها لفة فوق نعشك
تضفرها ، خصلات ، فتبيّض فوق الحداد
وننثرها .. كلمة
كلمة ..
بالرثاء إذن ؟
أبا لحزن؟ هذا الأمير الرزين ،
دعا أهله
وبني قومه
ودار عليهم ، يقدم من قهوة مرة ،
للرجال الأشداء ، مكتومة
ليس يسأل ربه ..
أي دين يقاضى ؟
وماذا توفي؟
لقد ذبل الخبز يا أصدقاء على كتفيه ،

---

[1] لم تنشر فيما نشر من مجاميعه الشعرية. ألقيت في تأبين الشاعر شاذل طاقة ونشرت في مجلة الفكر المعاصر التي تصدر في بيروت للعدد الثامن والتاسع من السنة الأولى / كانون الثاني / شباط 1975.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأغلق هذا المسافر، كل حقائبه ،
فهو مستسلم ..
إن شاذل [1][2] مستسلم ،
وكفاه معقودتان على قلبه ... فاحذروا .
لا تمسوا أصابعه
إن أسراره العشر ، مثقلة بالأمانة ،
وهي الأمانة مثل الحمامة ، ينحو لها في الصباح جناح
وينحو لها في المساء جناح
فيا صاحبي..
أطلق الآن ما بيننا من أمانة قلبك .
وأحلم لنا ..
تحلم امرأة بسنابل خمس مباركة .
ودعنا معا ،
نتقاسم على اسمك ، قطعة خبز ..
ونكتب أسماءنا .. واحدا واحدا
في الجدار الكبير الرهيب
ويا صاحبي اسنداه
إلى كتف زيتونة . يتذكر
تذكرت ساعة : شمس المطر
وتذكر أنا خبأنا أصابعنا في الحفر
وقد كانت الريح باردة .. وكان التراب حنونا
وأم الربيعين موشكة
والتخوم تهز أجنحتها،
وتلالي لها :

---

[1][2] شاذل طاقة من الشعراء الرواد من جيل السياب ونازك ولد في الموصل له مجموعة شعرية بعنوان (المساء الأخير) 1950م.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

" إن تكن حافيا يا صغيري .. رويدا
ستقول أرملة جوربا للفقير
وإن تك بردان يا ولدي .. فتمهل
غداة غد ..
وغداة غد "
مـا تـرى ؟ أنـت أعطيـت عينـين مـن كبريـاء المسـاكين مدهوشتين ،
وقلبا .. وأسئلة
فتقاسم إذن ..
يبادلك صبيان هذي المحلة أسرارهم
هكذا يا صديقي : رغيفا .. وجنح حمامة
وتلك علامة :
يكن قلبه بين عينيه ،
هذا الفتى العربي .. متسع للعراق
وتصلح روحه للحب .. والشعر
واشترطوا ..
فمددت يديك
وأعطيت أسرارك العشر في البذل الجوع والكبرياء
فمنذا لمس أصابعه
إن شاذل مستسلم لشروط المحبة ،
كفاه معقودتان على قلبه ،
وفي قلبه : وطن وسيدة وحبيب ..
فماذا تبقى إذن ؟
بالرثاء توفي له الدين أم بالبكاء ؟
وشاذل كان على حزنه كالأمير رزيناً
يفتش عن قهوة للرجال الأشداء مكتومة ،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وقد كان ذا غيرة كالمدينة ، واسعة ،
يسكن الفقراء بها والمحبون والأصدقاء
فيا صاحبي اسنداه إلى كتف رابية ..
وسوف تنمو على كثب من سريره زيتونة ، ترتقي ،
فتحس جبينه ،
ثم تفىء ..
فيقرأ في ضوئها اسم الحبيبة .. يحلم بين ارتعاد الشعاع
وتحلم يا صاحبي ..
إن حلمك فينا الوداع..
رويدا
نحس أصابعك العشر :
إن أصابعه فوق كفي دافئة ..
والأمانة ، إنك تعقد فوق ضميرك كفيك ثم تنام .

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

زمن الشعر

ما هذا زمن الشعر ولا هذا زمني
هذا زمن مسدود
يخرج منه الدود
صار الشعراء قروداً فيه
والعشاق يهود
باركني بيديك الحانيتين
وامنحي غفرانك يا وطني
* * *

فيا يوسف الصائغ المستهامْ
حاذر الليلة من أن تنامْ
استفق واستعن بالفضائلْ
ففي زمنٍ مثل هذا الزمانْ
سيهجرك الأهل والأصدقاءْ
وتضيق عليك المنازلْ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الباب

افتح لي بابك
أو أغلقه دوني
يا رب ....

....
لا تتركه
في منتصف العمر،
موارب ....

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

السؤال

ما أفظع هذا !...
آلاف الناس يروني ابكي ....
لكن،
ما من أحد يستوقفني، يوما ...
ويقول :
- لماذا تبكي
ما من أحد يسألني عنكِ !!

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تمردا

الشهيد المرقم ألفاً ..... وواحد.
يرفض الدفن ...
إلا إذا دفنوا معه
عشره من الشعراء
وما كتبوا من قصائد ....

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

عجز

قصير النظر

كلما سنحت فرصة للعناق

اخطأ الشفتـــين..!

فهو لا يحسن الحب،

إلا بنظّارتين .....

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

غزال

غزال
يطارده قاتلوه ... فيهرب..
عيناه واسعتان
وقلبه أخضر ...
حتى إذا حاصرته بنادقهم
توقف محتميا بوداعته
وأمال لهم رأسه..
وحدق فيهم حزينا، وقال:
- تعبت ...
فلا أستطيع الفرار
.... افعلوا ما تشاؤون
* * *

عيناه واسعتان
وقلبه ... جد حزين ...
وفي العمر مرت سنين
وها نحن نحكي،
عن الحب ... والحرب
لكن،
ضمائرنا
ما تزال
مضرجة بدماء الغزال

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لماذا

أيها الانتظار المرائي،
إذا كنت حقا صديقي،
كن إلى جانبي في طريقي.
* * *
أيها الانتظار المرائي
لماذا تسير ورائي؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أما كان يمكن

واقفٌ فوق أنقاض عمري [1]..
أقيسُ المسافةَ ما بين غرفةِ نومي .. وقبري !
واهمسُ : وا أسفاهْ
لقد وَهِنَ العظمُ، واشتعل الرأسُ، و اسودت الروح،
من فرط ما اتسخت بالنفاقْ ..
سلامٌ على هضبات الهوى
(سلامٌ على هضبات العراق)

إنها الساعة الثانية وثلاثون من بعد منتصف الليل ..
بغدادُ نائمةٌ .. والهزيع ثقيلْ..
وحدَهُ النهرُ مستيقظٌ .. والمنائرُ ..
والقلقُ المتربصُ، خلف جذوع النخيلْ ..
فجأةً ..
صَرَخَتْ طفلةُ الخوف في نومها ..
وتخبطَ في العش فرخُ يمامْ ..
وصاح المؤذن في غير موعده:
ـ استيقظوا ، أيها النائمون ..
وماد المدى .. وتجعدَ جلد الظلامْ
واقشعرَ السكون :

---

[1] نشر الشاعر هذه القصيدة عدت مرات وكان يبدل ويضيف ويحذف كعادته كما أعاد نشر قصيدة، فمرة ابتدأ قصيدته هذه بـ (حسناً.. واقفٌ فوق أنقاض عمري) وأخرى (ها أنا، واقف..) و آخر مرة نشرها قبل وفاته كما أثبتناها في المتن.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

ترى .. أما كان يمكن إلا الذي كان ؟
ما كان يمكن إلا الذي سيكون ؟
كأنْ ، لا مناص .. سوى أن تخانَ على صِدق حبكَ ، يا صاحبي أو تخون !!
.. هو ذا قمرٌ من دمٍ ، قد التصقت كِسَرُ الخبز فيه ..
دمٌ .. وترابُ..
وهرٌّ على مَنِكبيهِ .. غرابُ..
ولقد نظرتُ بمقلتي ذئبٍ إلى وطني ..
وأحسستُ العُواءَ، يجيئني دَبِقاً .. يبللهُ اللعابُ..
ورأيتني أتشممُ الجثثَ الحرامْ..
أفتشُ القتلى عن امرأتي ..

لكنْ .. صاح غرابُ البينْ ..
فانشقَ المشهدُ قسمينْ:
مشهدٌ عن يسار ضريح الحسين ..
وآخرُ في ملجأ (العامرية)..

ورويداً حتى يبتدئ القصفُ ، وتصعدَ، من بين شقوق الإسمنت المحروق، تراتيل الخوف، ترافقها أصواتُ مخاض ..
تسقط قنبلةٌٌ .. تسقط أخرى .. أخرى
ينفجر الملجأ .. ينهدمُ السقف .. وتحترق الدنيا ..
فنموتُ ..ونسمع
.. بين الموت وبين اليقظةِ..
صوتَ جنينٍ يضحك في الأنقاضْ..
واقفٌ فوق أنقاض عصري .. كالصليبْ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يمدُّ يدين مضرجتين ..
فما بين يأسٍ .. وصبرِ..
ألا .. أيها الراهب الأبديُّ الجريحْ..
أما آن أن تستريحْ ..
وتدرك أنك لستَ المسيحْ ..
وأن الطريق إلى (الجُلجلةْ)
لم يعد معضلةْ!
ولكنه في زمان .. كهذا الزمان ..
غدا مهزلةْ.. ومحض جنون ..
ترى !!..
أما كان يمكن إلا الذي كان ..؟
ما كان يمكن إلا الذي سيكون ؟..
بلى كان يمكن ..
لكنَّ خمسينَ عاماً من الحبِ .. لابدَّ تتعبُ
والصبرُ .. يتعب ..
والحلمُ .. والوهمُ .. هذا العذابُ البريء ..
في وداع حبيبٍ مضى ..
وانتظار الحبيب الذي لن يجيء !!..
وقد كنتُ في وحشة الروحِ ..أرنو لبغداد ..
أبحث عن منزلٍ لي بها ، وأعرف أنكَ أهلي .. وبيتي ..
وإن على بابنا جرساً للمحبين .. أقرعه ..
ثم أدخل :
الله ..
أهذا إذن كل ما قد تبقى ؟
سريرٌ كسيحٌ..وغرفةُ نومٍ مهدمةٌ ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ما تزال معاطفُ من رحلوا
معلقةً فوق جدرانها
ومكتبةٌ سقطت كلُّ أسنانها ..
وأهملها العاشقون ..
علام إذن يكتبُ الشعراءُ قصائدهم ؟
وممَ ترى يشتكون ؟
فما زلتُ أذكر أنا مشينا وحيدين نبحث عن فندقٍ للعناقْ ..
وحين وجدنا الشوارع مهجورةً ..والفنادقَ ممنوعةً على العاشقين ،
اخترعنا الفراقْ ..
سلامٌ على هضبات زمانٍ مضى ..
سلامٌ على هضبات العراق ..
يومها كان للحب بيتٌ صغير ..
يعودُ له في المساءْ..
ولم يكن الحزن قد بلغ الرشدَ ..
والخوف ما كان قد أفسد الكبرياء
ولم يكن الشهداء يُموتونَ من قرفٍ أو رياءْ

* * *

أبداً ..
كان يمشي إلى الموت
مكتفياً بمحض رجولته
وبزهو الدموع التي في عيون الحبيبةْ..
وحين دنت ساعة المجد
غالبهُ حبُّهُ .. فانحنى خاشعاً وقبل جلادهُ .. وصليبهْ ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

....
واقفٌ كالمرابي ..
في تخوم الضياع .. وعصر الخرابِ ..
على كتفي ببغاءٌ مدربةٌ
وفي الصدر قبرةٌ .. بجناحي غرابِ
غيرَ مستنكفٍ من مشيبي ..
ولا نادمٍ .. لأني لمحض سرابٍ هدرت شبابي ..
ولم أنس هذا الذي كان .. أو سيكون ..
فانظروا أيها الطيبون .. إنها الساعة الثالثة .. بعد منتصف الليل ..
بغداد واقفةٌ مثل مرضعةٍ ..
على كتفها قمرٌ ميتٌ
وفي الرحم منها جنينٌ عجيبْ ..
رأينا على الأفقِ المستريبْ..
قمراً من رماد .. وأنيابَ ذيب ..
والليلةَ.. سوف يسيل من القمر الميت ِخيطُ دمٍ يَعْلَقَ بالروح وبالأغصانْ
والليلةَ .. تنبتُ في الملجأ أدغالُ العصر الأمريكي [1] الملعون وتكتملُ الأحزانْ
وستطفو قبل الفجر تماسيحٌ سودٌ .
ذاتَ زعانفَ من لهبٍ ودخان ْ

وعما قليلٍ .. ستبتدئ المجزرةْ
فمن يشتري التذكرةْ

---

[1] أضاف الشاعر كلمة (الأمريكي) في آخر مرة نشر فيها قصيدته في دمشق، وكانت في النسخ السابقة (العصر الملعون).

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

إني ابتعثُ لهذي الليلة تذكرتينْ
فكنا اثنين .. أنا وحبيبةُ قلبي
في منتصف المشهد
لكأني أرى مثلما يحلمُ النائمون ..
عراقيةً تتفتحُ من فرح في الفراش الوثير
وأُراني أمشطُ شعرَ محبتها
فترمقني بامتنانٍ وتمسح فوق يدي بالحرير ْ
كأني أرى .. وأرى .. وأرى ..
إنما فجأةً .. يفتحُ الباب ..
يدخل مخدعنا قنفذٌ من دمٍ
فتنطفئ الرغباتُ وتتركُ فوق السريرِ
جثةَ امرأةٍ كنتُ أحببتها
ستبقى بلا كفنٍ في ضمير الحضارة ..
إلى أن يدبَّ الفسادُ بها ..
لتفضح سرَ العلاقة بين القداسة
فيما نحبُّ وبين الدعارة!!

* * *

واقفٌ فوق انقاض بيتي ..
أفتشُ عن جثة امرأتي .. ودميةَ بنتي
ويسألني الناس للمرة الألف ..
ـ ما كان يمكن ؟
أصرخُ : لا .. أيها الغافلون ..
فإن تكُ خمسون عاماً من الحب تتعبُ ..
أو يكن الصدق يتعبُ ..
فالكذب .. آهٍ من الكذبِ ..

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

هذا العذابِ البذيء
في اقتفاء النجوم التي لا تضيء ..
والتثبتِ من قمرٍ في المحاقْ ..
سلامٌ على هضبات المنى
سلامٌ على هضبات العراق
* * *

يا زارع الحنة...
ازرع لنا ريحان...
ففي غد... ستنجلي المحنة..
وتذهب الأحزان
......
أما أنتم..
فانتظروا، ثانية
منتصف الليل
فان صار القمر المنذور،
على سمت الخيل،
اتجهوا للباب الشرقي،
ودقوا فوق جدار القلب..
حتى ينهض نصب الحرية ثانية...
ثم تبتدئ المعجزة
فرس أشهب..
مقطوع الرأس..
رآه الحراس،
يحلق فوق الساحة
تتبعه عشرة أفراس..

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

وعراقي
يخرج من بين الناس،
ويصعد مثل براق من نور
في يده،
رأس مصنوع،
من ذهب ونحاس..
قال الناس،
رأينا الفارس،
يومي للفرس المذبوح
فيقترب الفرس المذبوح
ويلتحم الرأس..
وسمعنا..
إذاك صهيلا،
يتردد مثل البرق،
امتد من الغرب
إلى الشرق
وفاحت في الساحة
رائحة النهرين.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

(جزدان) خديجة

منذ كنت صغيرا
كان الناس يقولون
لمن يتوخى في سعيه أي نتيجة
فتش في جزدان (خديجة) [1]
هذا جزدان (خديجة) ما مثله جزدان
في أي زمان... ومكان...
وتذكر
أن خديجة، أيضاً،
ليست أي امرأة،
بين النسوان
يمكن أن يقصدها أي كان..
أبدا...
أن خديجة أرملة عوراء...
لها في رأسها قرنان...
تنتقل راكبة فوق جمل...
لا يستر عورتها إلا جلد حمل...
وانطلقت،
من مطلع هذا القرن،
تفتش عن سر ولادتها،
دون أمل
حتى يئست

[1] من الأمثال العراقية.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

فانكفأت تخفي خيبتها
في جزدان
جزدان ما مثله جزدان
في أي زمان ومكان
ولهذا صار الناس يقولون،
لمن يبحث عن أي نتيجة...
فتش في جزدان خديجة...
الويل لكم...
ويل لي...
ماذا لو أن (خديجة)
ضيعت الجزدان ؟

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

حتى اسمي...

استوقفني لص في الليل
وهددني...
فحلفت له أني لا أملك شيئا...
قال: إذن.. قل لي ما اسمك
أو سوف تموت..
فضحكت،
وقلت له:
- صدقني.. يا لص الليل...
حتى اسمي
أخذوه مني !

1999

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الطريق :

مهرجٌ في ساحة الأصنامْ..
من حولهِ .. حشدٌ من الأقزامْ..
يرقصُ بينهم
وهم يصفقونْ..
حتى إذا ما هدَّهُ التعبْ..
ونال منه، الحزن والغضبْ..
صاحَ بأعلى صوتهِ :
يا سيدَ الأصنامْ ..
أقم لنا تمثالك الكسيرْ
لعلنا نكتشف الطريق
بين ساحة (الفردوس)
وساحة التحريرْ!..

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

السلطان :

ناشدتكم بالله يا أخوان:
لا تسخروا منهُ
لا تشمتوا بهِ
لا تحقدوا عليه
لأنه إذا كبا السلطانْ
وظلَّ ممسكاً بسيفهِ المكسورْ،
وتاجه المهانْ..
وقيدهِ المغروس في يديه..
حتى أعاديه ـ إذ ذاكَ ـ ترثي لهُ
حتى ضحاياهُ ـ وا حسرتاهُ ـ تلعنهُ
وهي تبكي عليه !..

2005م

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

قائمة أعماله الأدبية

1. الشعر

- **دواوين منشورة:**
- **قصائد غير صالحة للنشر** (مجموعة مشتركة) – 1957، بالاشتراك مع الشعراء؛ **شاذل طاقة، هاشم الطعان** و**عبدالحليم اللاوند**.
- **دماء بلا دموع** 1961"
- **اعترافات مالك بن الريب** - 1973.
- **سيدة التفاحات الأربع** - 1976 (مُكرَّس لذكرى زوجته جولي).
- **اعترافات** - 1978.
- **المعلم** - 1985.
- **قصائد** (المجموعة الكاملة) - **دار الشؤون الثقافية العامة** - 1992.
- **دواوين غير منشورة:**
- **يوسف اعرض عن هذا** (مخطوطة).

2. الرواية

منشورة:

- **اللعبة** - 1970 (حازت جائزة **أفضل رواية عراقية**).
- **المسافة** - اتحاد الكتاب العرب، دمشق - 1974.
- **السرداب رقم 2** - 1997.

غير منشورة:

- رواية (مخطوطة).

3. المسرح

منشورة وحاصلة على جوائز:

- **الباب** - 1986 (جائزة **أفضل نص مسرحي في** مهرجان قرطاج - 1987).

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- **العودة** - 1987 (المركز الأول في **المسرح العراقي** – 1988).
- **ديدمونه** - **1989** (جائزة **أفضل نص مسرحي** في مهرجان قرطاج).

غير منشورة:

- **البديل** (مخطوطة).
- مسرحية أخرى (مخطوطة).

4. الدراسات والأعمال الأكاديمية

- **الشعر الحر في العراق** - أطروحة ماجستير - 1976.

5. السيرة الذاتية والمذكرات

- **الاعتراف الأخير لمالك بن الريب** (الجزءان الأول والثاني منشوران، الثالث غير مطبوع).
- **مذكرات** (مخطوطة).

6. أعمال أخرى

- **السودان ثورة وشهداء** - قصيدة نثر سياسية طويلة - 1970.
- **قصص قصيرة** (غير منشورة).

الجوائز والتكريمات

- جائزة **أفضل نص مسرحي** في **مهرجان قرطاج** (تونس) عن مسرحيتي "**الباب**" (1987) و"**ديدمونه**" (1989).
- **وسام الاستحقاق الثقافي** من رئيس الجمهورية التونسية.
- جائزة **المسرح العراقي** عن "**العودة**" (1988).
- جائزة **أفضل رواية عراقية** عن "**اللعبة**" (1970).

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يوسف الصائغ

. النشأة والتعليم

يوسف نعوم داود الصائغ (1933- 12 كانون الأول / ديسمبر 2005) شاعر وروائي وكاتب مسرحي عراقي. ولد في مدينة الموصل من عائلة مسيحية دينية تعنى بالأدب والسياسة. نشأ في كنف أسرة مسيحية مثقفة، مما أثر على تكوينه الأدبي والفكري.

تخرج من دار **المعلمين العالية** عام 1955 في قسم اللغة العربية، وحصل على ماجستير في الأدب العربي الحديث عام 1976 بمرتبة الشرف، بتقديم أطروحة بعنوان **"الشعر الحر في العراق"**، التي أصبحت مرجعاً نقدياً مهماً.

بالإضافة إلى اهتمامه بالأدب، درس الفن التشكيلي في معهد الفنون الجميلة في بغداد، كما أكمل دراسات عليا في أكاديمية روما في إيطاليا، مما جعله أديباً وفناناً متكاملاً.

المسيرة المهنية والسياسية

- **التدريس**: عمل مدرساً لمدة **25 عاماً** قبل التفرغ للأدب والصحافة.
- **المناصب الإدارية**: شغل منصب **مدير عام دائرة السينما والمسرح** في العراق.
- عمل في الصحافة لأكثر من **25 عاماً**، ونشر مقالاتٍ ودراساتٍ في دوريات عربية.
- **الانتماءات**:
- عضو في **اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين**، **جمعية الفنانين العراقيين**، **نقابة الصحفيين العراقيين**، واللجنة العليا لمهرجاني **المربد** وبابل.
- **النشاط السياسي**:
- انضم إلى **الحزب الشيوعي العراقي** في الستينيات، مما أدى إلى سجنه من قِبَل نظام البعث بعد ثورة 1963 في سجن **نقرة السلمان** حتى أوائل السبعينيات وعمل في صحيفته المركزية "**طريق الشعب**" حتى تم إغلاقها في 1979..
- أثارت مواقفه السياسية لاحقاً خلال فترة الثمانينيات والتسعينيات جدلاً واسعاً، واتهامه بـ"التواطؤ" رغم تمسكه بانتمائه الشيوعي السابق.
- **الخلافات الفكرية**: كتب مقدمة لقصيدة **"حب فاشل"** أثارت جدلاً في أوساط اليسار العراقي، دافع فيها عن موقفه من الوطن رغم الانتماءات السياسية، معتبراً أن "الإنسان لا يقف مكتوف الأيدي أمام اعتداءات الوطن".

الحياة الشخصية والمحطات المؤلمة

- **الزواج والمأساة**: تزوج من **جولي**، التي لقيت حتفها في **حادث سير** بين أنقرة وأضنة (تركيا) عام 1976، فأهداها ديوانه الشعري **"سيدة التفاحات الأربع"**، الذي يُعتبر من أبرز أعماله العاطفية. ثم أم مريم **(وداد)**،بعد ذلك الدكتورة **سلسل العاني**، فالسيدة **صباح الخفاجي**.
- **الهجرة والوفاة:**
- غادر العراق إلى **سوريا** هرباً من العنف بعد سقوط النظام عام 2003
- تُوفي في **دمشق** في **12 ديسمبر 2005**، ودُفن في مقبرة مسيحية، بعد حياة حافلة بالصراعات بين الإبداع والسياسة، والحب والخسارة.

السمات الأدبية والفكرية والفنية

- من جيل الخمسينيات، الذي أعقب جيل **رواد الشعر الحر** في العراق حيث شكل ديوان **"قصائد غير صالحة للنشر "** 1957 الذي نشره بالاشتراك مع الشعراء **شاذل طاقة** و**هاشم الطعان** و**عبدالحليم اللاوند**، خطوة أخرى في كسر التقاليد الشعرية السائدة.
- اتسم أدبه بـ**التفاعل مع القضايا السياسية**، مثل قصيدته النثرية **"السودان ثورة وشهداء"** (1970)، ومسرحياته.
- تناولت أعماله **التصالح مع الذات** تحت تأثير تجاربه الشخصية (السجن، الخسارة، الخيانة المُتصوَّرة)، كما في سيرته الذاتية **"الاعتراف**

الأخير لمالك بن الريب".

- أبدع في **المسرح** بتقديم نصوص ذات طابع فلسفي وأخلاقي، مثل **"الباب"** و**"العودة"**، والتي نالت جوائز عربية مرموقة.
- حقق يوسف الصائغ إنجازات لافتة في الرواية العراقية، أهمها: - رواية "**اللعبة**" التي فازت **بجائزة أحسن رواية عراقية عام 1970**، وهي من أبرز إنجازاته الروائية. - رواية "**المسافة** " (1974) التي تُعتبر من الأعمال الروائية المهمة في أدبه. - رواية "**السرداب** رقم 2" (1997) التي تُظهر تطوره الروائي المستمر.
- يعتبر يوسف الصائغ من أفضل كتاب الخاطرة في العراق، وكانت خواطره في مجلة ألف باء تحت عنوان "فوق نار هادئة" شاهداً على موهبته في هذا المجال.

ملاحظات ختامية

ظل **يوسف الصائغ** شخصيةً **مثيرة للجدل** حتى بعد رحيله، بين مَن يراه شاهداً على مرحلةٍ دامية من تاريخ العراق، ومَن يتهمه بالتقلُّب السياسي. لكن إرثه الأدبي، الذي يجمع بين **الجرأة الفنية والتأمل الوجودي**، يضمن له مكانة بارزة في المشهد الثقافي العراقي والعربي. أعماله غير المنشورة، "ستظل في ضمير هذا الوطن الذي لا يحترم مبدعيه"، وتبقى شاهداً على إبداع لم يُكتمل.

«AlfYaa ألف ياء»